جهاد النبي ﷺ في نهج البلاغة الشريف الرضي

دراسة تحليلية

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 3683 لسنة 2019

مصدر الفهرسة : IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC : BP193.1.A2 F3 2020
المؤلف الشخصي : فاضل، علي عباس - مؤلف.
العنوان : جهاد النبي (صلى الله عليه وآله) في نهج البلاغة : دراسة تحليلية /
بيان المسؤولية : تأليف علي عباس فاضل ؛ تقديم السيد نبيل الحسني الكربلائي.
بيانات الطبع : الطبعة الاولى.
بيانات النشر : كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، 2020 / 1440 للهجرة.
الوصف المادي : 144 صفحة ؛ 24 سم.
سلسلة النشر : (العتبة الحسينية المقدسة ؛ 627).
سلسلة النشر : (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ 180).
سلسلة النشر : (سلسلة الدراسات والبحوث العلمية ؛ 20).
تبصرة ببليوجرافية : يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات 133-142).
موضوع شخصي : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359 - 406 للهجرة - نهج البلاغة.
موضوع شخصي : علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، 23 قبل الهجرة-40 للهجرة – حديث.
موضوع شخصي : محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، النبي، 53 قبل الهجرة - 11 للهجرة – الجهاد.
مصطلح موضوعي : الجهاد في الاسلام.
مصطلح موضوعي : تهذيب النفس (اخلاق اسلامية).
اسم مؤلف اضافي : شرح لـ(عمل) : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة - نهج البلاغة.
اسم مؤلف اضافي : الحسني، نبيل، 1384 للهجرة – مقدم.
اسم هيئة اضافي : العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مؤسسة علوم نهج البلاغة. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

سلسلة الدراسات والبحوث العلمية ٢٠
وحدة الدراسات السيرية: ١

اجتهادات النبي صلى الله عليه وآله في نهج البلاغة الشريف الرضي

دراسة تحليلية

تأليف
م.م. علي عباس فاضل

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠هـ

العراق - كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام
مؤسسة علوم نهج البلاغة
هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣
الموقع الألكتروني: www.inahj.org
الإيميل: Info@Inahj.org

تنويه:
إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة
تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الزخرف الآية: ٤

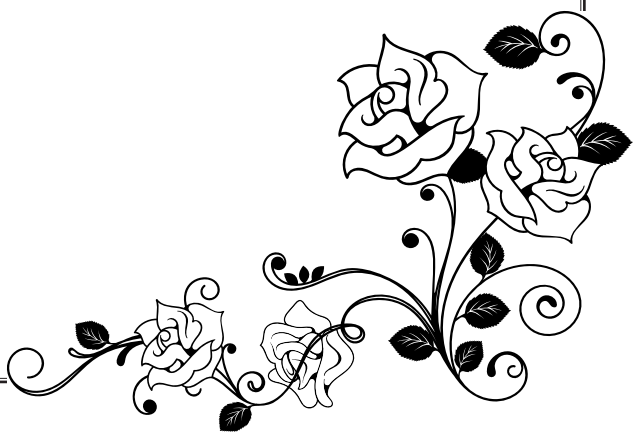

الإهداء:

إلى أبَوَي هذه الأمة

محمدٌ

وعلي

(عليهما وآلهما الصلاة والسلام)

علي

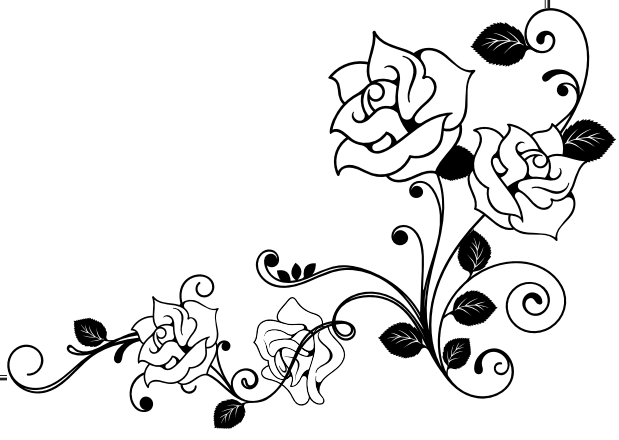

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلًا للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يقتصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية فحسب، بل شمل غيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[1]، كذا نجد يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[2]، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضرًا وشاهدًا فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم والعترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) يس: ١٢.

العلمية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة الدراسات والبحوث العلمية) التي يتم عبرها طباعة هذه الكتب وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه بغية إيصال هذه العلوم إلى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبين هذا العطاء الفكري والانتهال من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقولها المتعددة.

وهذا الكتاب الذي درس فيه المؤلف جانب من سيرة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ألا وهو جهاده، إذ لم ينقل لنا أرباب السير والتاريخ صورة واضحة في جهاده (صلى الله عليه وآله). وقد يرى ذلك واضحًا في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، إذ ذكر لنا حياة رسولنا الكريم بكل تفاصيلها ومنها جهاده (صلى الله عليه وآله) وكيف قاتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهل الشرك والكفر والنفاق ومن ثم تطرق إلى جانب من حياته الكريمة وكيف عاش حياته مجاهدًا لنفسه (صلى الله عليه وآله). فجزى الله الباحث عن عمله هذا خير الجزاء والحمد لله رب العالمين.

السيد نبيل الحسني الكربلائي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لله النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا، فَأَدَّى أَمِينًا، وَمَضَى رَشِيدًا، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، وبعد:

يعد موضوع جهاد النبي (صلى الله عليه وآله) من الموضوعات الواسعة، إذ يشكل جانبا مهما وكبيرا من الحياة الإسلامية، ويبين الأسس التي كان يعتمدها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في دفاعه المقدس عن رسالته الشريفة، وقد اتخذ وسائل عدة لنشرها، مستندا إلى ما جاء به القرآن الكريم من آيات تبين أساليب الدعوة إلى الرسالة ومنها قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ**

﴿إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[سورة النحل: ١٢٥ - ١٢٧]، فالطريقة الأولى لتبليغ الدعوة كانت بالحكمة والموعظة الحسنة التي اتبعها رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع عشيرته، لكن الجفاء كان من أغلبهم حتى فعلوا به ما فعلوا، فكان منه الصبر على إيذائهم له، وجاهد في الدعوة إلى الرسالة وتحمل ما كان منها، ثم جاءت مرحلة الهجرة الشريفة التي تعد استكمالا لمراحل دعوته (صلى الله عليه وآله) إلى الرسالة السماوية، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[سورة التوبة: ٢٠]، فالهجرة في هذه الآية قرينة الإيمان والجهاد في سبيل الله، وبعد استقرار النبي (صلى الله عليه وآله) في المدينة وبناء أسس دولته الإسلامية العادلة، التي أصبحت ذات مكانة كبيرة وقوة عظيمة سندها الإيمان بالله تعالى، بدأ مرحلة جديدة في الدعوة الإسلامية..

بدأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) العمل على تحقيق العدل في أرجاء المعمورة، وبدأ جهاده في استرجاع الحقوق التي سلبتها قريش منهم، وكذلك دعوتهم إلى الدين الإسلامي لكن هذه المرة من مصدر قوة، فلما جحدت قريش حاربها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المعركة الأولى بدر الكبرى التي أيده الله بالنصر وبالظفر فيها، وهي المعركة التي بينت قوة الدولة الإسلامية التي أنشأها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وقت قصير، وهذه القوة مستمدة من الإيمان بالله جل وعلا، وهكذا كان دور رسول الله (صلى الله عليه وآله) في جهاده لأعداء الله في جميع معاركه (صلى الله عليه وآله)، إذ عُرِف بشجاعته التي تفرد بها، فكان (صلى الله عليه وآله) يقاتل

بيده جنبًا إلى جنب مع جيش المسلمين، بل هو المتقدم عليهم والأقرب إلى العدو وهذه هي استراتيجيته في القتال، وكذلك يقدم أهل بيته (عليهم السلام) في الأوقات الصعبة التي تكون في المعارك، وهذه الاستراتيجية التي تبناها رسول الله (صلى الله عليه وآله) استمدها أهل بيته (عليهم السلام) في معاركهم، فنجدها حاضرة عند أمير المؤمنين (عليه السلام) في مقولته المشهورة في المعارك (اتبعوني).

وقد أخذ الجهاد الأكبر مأخذا كبيرا من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقد تحدّث فيه وطبقه وعمل به على نفسه، إذ جاهد (صلى الله عليه وآله) نفسه صابرا محتسبا، لم تكن الدنيا عنده إلا دار فناء وزوال، فلم يعرها طرفا، وقد زواها الله عنه، كسر (صلى الله عليه وآله) نفسه عن الشهوات، وابتعد عن ملذات الدنيا وطيباتها ابتغاء مرضاة الله وطاعة له، وقد جاع رسول الله (صلى الله عليه وآله) كثيرا حتى كان أخمص البطن، يلبس الثوب المرقع الذي رقعه بيده ويركب الحمار العاري، ويجلس جلسة العبيد ويأكل على الحضيض، ويخصف نعله بيده، تواضعا وتذللا.

يعطي رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأمة دروسا في التربية والأخلاق الحميدة والتواضع والتذلل، ذلك عبر كبح جماح النفس عن شهواتها، والابتعاد عن ملذاتها الزائلة، طلبا للآخرة ونعيمها الدائم، ومن هنا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) القدوة التي يقتدى بها في القول والفعل، لأنهم وضعوا لنا دستورا ونظاما إنسانيا وأسسا أخلاقية، لحياة يسودها الخير والصلاح.

وجاء هذا الكتاب ليتتبع ما ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف

جهاد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في نهج البلاغة، وقد اقتضت منهجية البحث تقسيم الكتاب على ثلاثة فصول، يسبقها تمهيد ومقدمة وتتلوها خاتمة بأبرز النتائج التي توصل إليها الكتاب، وقد تضمن التمهيد بيان مفهوم الجهاد في اللغة والاصطلاح، وذكر أقسامه، واختص الفصل الأول جهاد النبي (صلى الله عليه وآله) في تبليغ الدعوة وتضمن مبحثين: الأول منهما لجهاده (صلى الله عليه وآله) في مكة، أما المبحث الثاني فكان لجهاده (صلى الله عليه وآله) في الهجرة، وجاء الفصل الثاني لجهاده (صلى الله عليه وآله) بعد الهجرة، وقُسِّم على مبحثين: الأول منهما جهاده في بناء المجتمع الإسلامي، والثاني لجهاده (صلى الله عليه وآله) في المعارك، وتناول الفصل الثالث جهاد النفس، وكان على مبحثين جاء الأول منهما في بيان فضل الجهاد الأكبر والقدوة الحسنة، أما المبحث الثاني فكان لمظاهر جهاد النفس في حياته (صلى الله عليه آله)، ثم خاتمة بأبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

والحمد لله أولا وآخرا.

الباحث

التمهيد

مفهوم الجهاد

الجهاد لغة:

الجِهاد: فِعال من جهد وهو المشقة والمرض[1]، و(الجهاد مصدر جاهد جهادًا ومجاهدة، وجاهد: فاعل، من جهد: إذا بالغ في قتال عدوه وغيره. ويقال: جهده المرض وأجهده: بلغ به المشقة، وجهدت الفرس وأجهدته، استخرجت جهده)[2]، و(جهد: الجَهْدُ والجُهْدُ: الطَّاقَةُ، تَقُولُ: اجْهَد جَهْدَك؛ وَقِيلَ: الجَهْد الْمَشَقَّةُ والجُهْد الطَّاقَةُ. اللَّيْثُ: الجَهْدُ مَا جَهَد الإِنسان مِنْ مَرَضٍ أَو أَمر شَاقٍّ، فَهُوَ مَجْهُودٌ)[3].

الجهاد اصطلاحًا:

تعددت تعريفات الجهاد لدى فقهاء الأمة وعلمائها فقد عرفه الشيخ

---

(١) ينظر: العين: ٣/ ٢٨٦.

(٢) المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت: ٧٠٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، ط١، مكتبة السوادي للتوزيع، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م: ٢٤٧.

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور(ت: ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ: ٣/ ١٣٣.

الصدوق على أنّه: (فريضة واجبة من الله عز وجل على خلقه بالنفس والمال مع إمام عادل، فمن لم يقدر على الجهاد معه بالنفس والمال فليخرج بماله من يجاهد عنه، ومن لم يقدر على المال وكان قويا (ليست له) علة تمنعه، فعليه أن يجاهد بنفسه)[١]. وعرفه الشيخ الطوسي وبيّن شروطه على أنه: (فرض من فرائض الإسلام، وهو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وشرائط وجوبه سبعة: الذكورة، والبلوغ، وكمال العقل، والصحة، والحرية، وأن لا يكون شيخا ليس به قيام، ويكون هناك إمام عادل أو من نصبه الإمام للجهاد، فإذا اختل واحد من هذه الشروط سقط فرضه ولم يسقط الاستحباب)[٢]، ويعرف أيضا على أنه: (بذل النفس وما يتوقف عليه من المال في محاربة المشركين أو الباغين على وجه مخصوص، أو بذل النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان، وهو وإن كان شاملا للكافرين والباغين، لكن فيه: أنه غير مانع؛ لأن إعزاز الدين أعم من كونه بالجهاد المخصوص... فهو ذروة سنام الإسلام، ورابع أركان الإيمان، وباب من أبواب الجنة، وأفضل الأشياء بعد الفرائض، وسياحة أمة محمد (صلى الله عليه وآله) التي جعل الله عزها بسنابك خيلها ومراكز رماحها)[٣].

(١) الهداية، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي (عليه السلام)، ط١، مطبعة اعتماد، نشر مؤسسة الإمام الهادي (عليه السلام)، قم- إيران، ١٤١٨هـ: ٥٧- ٥٨.

(٢) الرسائل العشر، الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة- إيران: ٢٤١.

(٣) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ محمد حسن النجفي (ت: ١٢٦٦هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ حيدر الدباغ، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة- إيران، ١٤٣٣هـ: ٢٢/ ٥-٦.

فضل الجهاد:

يعد مفهوم الجهاد من المفاهيم الإسلامية الواسعة التي شغلت العلماء والفقهاء لما له من دور كبير في حفظ الدين والأمة من كيد الأعداء والدفاع عن مقدسات هذه الأمة، لذا فالجهاد هو الرادع الأكبر لكيد المعتدين، وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تذكر الجهاد وفضله والمجاهدين ومنزلتهم، قال تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾[2]، وهناك آيات كثيرة في الجهاد وفضله، أما السنة النبوية الشريفة فقد حفلت بأحاديث هي امتداد للآيات المباركة، إذ أخذ موضوع الجهاد في الكتب التي نقلت السنة الشريفة مكانا واسعا حتى أُفردت له كتب خاصة تحت عنوان الجهاد وفضله، ومنهم ما جعله في باب خاص به وبأحكامه، وقد نُقل فيها ما صدر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قول وفعل وتقرير، ومن هذه الأحاديث قوله (صلى الله عليه وآله): «**قَيِّمُ الدِّينِ الصَّلَاةُ، وَسِنَامُ الْعَمَلِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ**

(١) سورة النساء: ٩٥.

(٢) سورة التوبة: ١٩- ٢٠.

الصَّمْتُ حَتَّى يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْكَ»[١]، وجاء عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «**خَطَبَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله، فَذَكَرَ الْجِهَادَ، فَلَمْ يُفَضِّلْ عَلَيْهِ شَيْئًا إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ**»[٢]، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) جعل الجهاد من أفضل الأعمال بعد الفرائض، لما له من أهمية كبيرة وبالغة في حفظ الأمة، وحمايتها.

أقسام الجهاد:

يقسم الجهاد على تقسيمات عدة بحسب مكانته أو موارده أو أحكامه أو تكليفه:

أولًا: الجهاد بحسب مكانته:

يستند التقسيم هذا إلى ما جاء عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في تقسيمه للجهاد على نوعين: الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر، فقد روي (عَنْ أَبِي عَبْدِ الله (عليه السلام) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله) بَعَثَ بِسَرِيَّةٍ فَلَمَّا رَجَعُوا قَالَ: «**مَرْحَبًا بِقَوْمٍ قَضَوُا الْجِهَادَ الْأَصْغَرَ وبَقِيَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ قِيلَ يَا رَسُولَ الله ص ومَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ قَالَ جِهَادُ النَّفْسِ**»)[٣].

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه: مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ)، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (ت: ١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت: ٢٨٨.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر – مصر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م: ١/ ٥١٠.

(٣) الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت:٣٢٩هـ)، ضبط وتصحيح وتعليق: محمد

فجهاد النفس أعظم أنواع الجهاد وسماه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بالجهاد الأكبر فقد روي عنه أنه قال: «**أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه**»[١]، و(عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث، وجوه الجهاد «**جهادان فرض فأما أحد الفرضين فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله تعالى وهو أعظم الجهاد...**»)[٢]، أما الجهاد الأصغر فهو جهاد العدو من أهل الشرك والبغي[٣].

ثانيًا: الجهاد بحسب موارده:

قد تقدّم بيان أقسام الجهاد من حيث أفضليته، لكن يقسم الجهاد على وفق موارده: (على وجوه خمسة: هي ما يكون لحفظ بيضة الإسلام إذا أراد الكفّار الهجوم عليها. وما يكون لدفعهم عن بُلدان المسلمين، وقُراهم، وأراضيهم، وإخراجهم منها بعد سلطانهم عليها. وما يكون لدفع الملاعين عن التسلُّط على دماء المسلمين، وهتك أعراضهم... وما يكون لدفعهم عن طائفة من المسلمين التقت مع طائفة من الكفّار، فخيف من استيلائها عليهم. وما يكون لأجل الدعوة إلى الإسلام، وإقرارهم بشريعة خير الأنام (صلَّى الله عليه وآله وسلم). وتُشترط في القسم الأخير نيّة التقرّب إلى الله تعالى، دون باقي الأقسام، مع احتمال اشتراطها في الأقسام الأربعة الباقية، لا سيّما الأوّل

جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م: ٣/ ١٣.

(١) التحفة السنية في شرح نخبة المحسنية، السيد عبد الله الجزائري (ت: ١١٧٣هـ: ٢٠٠.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٠.

(٣) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، ط١، مطبعة ستار، انتشارات كلمة الحق، ١٤٢٧هـ: ٤/ ٢٢.

والرابع، ولو قيل: بأنّ قصد القربة إنّما تتوقّف عليه زيادة الثواب، لم يكن بعيدًا)[١].

ثالثًا: الجهاد بحسب أحكامه:

ويقسم الجهاد بحسب أحكامه على سنة أو فرضٍ على أربعة أقسام وهذا ما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام)، إذ روي عن (محمد بن الحسن الصفار عن علي بن محمد القاساني عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الجهاد أسنة هو أم فريضة؟ فقال: «**الجهاد على أربعة أوجه: فجهادان فرض، وجهاد سنّة لا يقام إلا مع فرض، وجهاد سنّة. فأما أحد الفرضين فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله وهو من أعظم الجهاد، ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض، وأما الجهاد الذي هو سنّة لا يقام إلا مع فرض فإن مجاهدة العدو فرض على جميع الأمة ولو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب وهذا هو من عذاب الأمة وهو سنّة على الإمام وحده أن يأتي العدو مع الأمة فيجاهدهم، وأما الجهاد الذي هو سنّة، فكل سنّة أقامها الرجل وجاهد في إقامتها وبلوغها فالعمل والسعي فيها من أفضل الأعمال لأنها إحياء سنّة، قال النبي (صلى الله عليه وآله): من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص أجورهم شيء**»)[٢].

(١) كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت: ١٢٢٨هـ)، تحقيق: عباس التبريزيان، محمد رضا الذاكري، عبد الحليم الحلي، ط١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٢هـ: ٤/ ٣٣٧.

(٢) تهذيب الأحكام، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، ضبط وتصحيح وتعليق: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت– لبنان،

رابعًا: الجهاد بحسب التكليف:

يقسم الجهاد من حيث التكليف على قسمين: جهاد واجب كفائي وجهاد فرض عين، فأما الكفائي فيقصد به القدر الذي يسقط به فرض الجهاد عن الباقين بأن يكون على كل طرف من أطراف بلاد المسلمين قوم يكونون أكفاء لمن يليهم من الكفار[١]، **(ومعنى الكفاية في الجهاد أن ينهض للجهاد قوم يكفون في قتالهم إما أن يكونوا جندا لهم دواوين من أجل ذلك، أو يكونوا قد أعدوا أنفسهم له تبرعا بحيث إذا قصدهم العدو حصلت المنعة بهم ويكون في الثغور من يدفع العدو عنها)**[٢]، وأما الجهاد الذي هو فرض عين بأحد شيئين[٣]: أحدهما: استنهاض الإمام إياه، والثاني: يكون في حضور الإمام، وغيبته بمنزلة، وهو أن يدهم أمر يخشى بسببه على الإسلام وهن، أو على مسلم في نفسه أو ماله، إذا حصل ثلاثة شروط: حضوره، وقدرته على دفع ذلك، ووجود معاون إن احتاج إليه، ولا يجوز الجهاد بغير الإمام، ولا مع أئمة الجور.

١٤١٢هـ- ١٩٩٢م: ٦/ ٩٧.

(١) ينظر: المبسوط في فقه الإمامية، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق: السيد محمد تقي الكشفي، مؤسسة الغري للمطبوعات، دار الكتاب الإسلامي، بيروت- لبنان: ٢/ ٢.

(٢) الشرح الكبير، عبد الرحمن بن قدامة (ت: ٦٨٢هـ)، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع - بيروت – لبنان: ١٠/ ٥١٢.

(٣) الوسيلة، ابن حمزة الطوسي (ت: ٥٦٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، إشراف: السيد محمود المرعشي، ط١، مطبعة الخيام، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المشرفة – إيران، ١٤٠٨هـ: ١٩٩-٢٠٠.

الفصل الأول

جهاد النبي (صلى اللّه عليه وآله) في تبليغ الدعوة

المبحث الأول: جهاده (صلى الله عليه وآله) في مكة

المبحث الثاني: جهاده (صلى الله عليه وآله) في الهجرة

توطئة:

لقد كان لظهور الإسلام والدعوة الجديدة في شبه الجزيرة العربية أثر بالغ في نفوس الناس، مما أدى إلى حالة من الإرباك والاضطراب في المجتمع العربي آنذاك؛ لأن هذا الدين سيؤدي إلى زوال زعامات ويغير كثيرًا من العادات والتقاليد التي كانت سائدة في المجتمع، وهذا مما لا يقبله مثل ذلك المجتمع الذي لم يعهد مثل هذه الأمور، فقد كان شبه مستقر ومغلق على ما هو عليه من العصبية وعبادة الأوثان والتقاليد العرفية التي لا يحيد عنها أحد إلا وكان مصيره القتل والتشريد على أقل تقدير، فالمجتمع العربي آنذاك مجتمع سيادة وترأس وهو عبارة عن قبائل تتعايش فيما بينها بمبدأ القوة ولا خيار أمامها سوى القوة والنفوذ، فتراهم بين قبيلة قوية أو مجموعة من القبائل متحالفة فيما بينها لحفظ نفسها ممن هو أقوى منها، وفي وسط هذا كله تنشب بينهم المعارك والحروب الطاحنة على أبسط الأمور، هكذا مجتمع كان يرى القتل والسلب والنهب من الشجاعة، ومن بين هذا المجتمع الذي غلب عليه الجهل والتعصب والقوة في التعامل بزع نور رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليبث فيهم دعواه إلى الدين الإسلامي دين التسامح والمحبة والسلام؛ ليخلصهم من التقاليد الجاهلية التي كانت سائدة حتى جعلت منهم أشبه ما يكون بغابة وحوش يأكل فيها القويُّ الضعيفَ رغم وجود بعض الصفات الحسنة فيه مثل الكرم وغيرها، فكيف لمثل هكذا مجتمع أن

يتقبل مثل هذه الدعوة التي ترى الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين غني وفقير، ولا قوي وضعيف، والدين الواحد هو الإسلام، وهذه الدعوة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي لم يكن من كبار زعمائهم بل أحد أبنائهم، وإن كان من عائلة تناقلت الزعامة فيها، لكن كان هناك من يتزعم قريشًا من كبارها عمرًا وهم أعمامه (صلى الله عليه وآله)، ومنهم أبو طالب (رضوان الله عليه) الذي كان يدافع عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ومنع عنه القوم ونصره.

المبحث الأول
جهاده (صلى اللّه عليه وآله) في مكة

عُرف عنه (صلى الله عليه وآله) أمانته وصدقه وخلقه الرفيع على عكس ما كان عليه غالب المجتمع الذي يحيط به، إذ كان (صلى الله عليه وآله) مثالًا للخلق الرفيع والإنسان المتكامل، في مجتمع يسوده التعصب القبلي وحب التسلط والنفوذ والقوة، لذا كان مجتمعا مغلقا فكريا سيطرت عليه الأفكار الجاهلية التي أدت إلى ظهور العادات السيئة فيه، والصفات غير الحميدة على أغلب أفراده، وبين كل هذه الظروف كان على رسولنا الأكرم (صلى الله عليه وآله) أن يدعوَ إلى دين الله الإسلام هؤلاء الناس ليدخلوا فيه ويُقرُّوا بأن محمدًا (صلى الله عليه وآله) رسول الله ويدينوا له بالسمع والطاعة، فكيف لمثل هكذا مجتمع أن يتقبل مثل هذا الأمر وهم يرون أنفسهم أعلى قدرًا ومنزلةً من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لذا بدأت محاربة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) على دعوته هذه، إذ لم تجد تقبلا واسعا بين أفراد هذا المجتمع الذي لا يؤمن أكثره بالمساواة والعدل، التي يدعو لها الدين الإسلامي، وهذه الحرب كانت بطرق متنوعة، فبدأوا بالتضييق والافتراء على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن ثم بقتل كل من يتبعه ومقاطعتهم، ولذا كان على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يجد أمام هذه الهجمة الكبيرة

حـلًّا ليسـلم بـه عـلى الديـن وعـلى نفسـه وأتباعـه ويحافـظ عـلى الديـن الجديـد مـن الضيـاع، فصـبر عـلى الأذى والعـذاب والمشـقة مـع مـن كان معـه، إضافـة إلى الذيـن وقفـوا معـه ومنعـوا عنـه كيـد الكائديـن، فقـد وقـف معـه وسـانده في الدعـوة عمُّـه أبـو طالـب (رضـوان الله عليـه) بـكل مـا أوتيَ مـن قـوة فـكان لـه نعـم النـاصر بالقـوة والنصيحـة والأبـوة، كذلـك فقـد جعـل أولاده فـداءً لرسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه)، فـكان هـذا الدعـم يخفـف عـن رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) بعـض الألم والمشـقة التـي تلقاهـا مـن قومـه إلى أن جـاء أمـر ربِّـه بالهجـرة بعـد أن تُـوفي أبـو طالـب (رضـوان الله عليـه) وتعاظـم أمـر قريـش في محاربتهـم لرسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) فبـدأت مراحـل الجهـاد في سـبيل الله.

وتمثـل جهـاد النبـي الأكـرم (صـلى الله عليـه وآلـه) في الدعـوة إلى الإسـلام في قـول أمـير المؤمنين (عليـه السـلام): «**بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلّالٌ فِي حَيْرَة، وَحَاطِبُونَ**[1] **فِي فِتْنَـة، قَـدِ اسْـتَهْوَتْهُمُ الأَهْـوَاءُ، وَاسْـتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَـاءُ، وَاسْـتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّـةُ الْجُهْـلاَءُ؛ حَيَـارَى فِي زَلْـزَال مِـنَ الأَمْـرِ، وَبَـلاَء مِـنَ الْجَهْـلِ، فَبَالَـغَ (صـلى الله عليـه وآلـه) فِي النَّصِيحَـةِ، وَمَـضَى عَـلَى الطَّرِيقَـةِ، وَدَعَـا إِلَى الْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَـةِ**»[2].

يبـين الإمـام (عليـه السـلام) في هـذا النـص الحالـة التـي كان عليهـا المجتمـع

(١) مـن روى حاطبـون فهـي اسـتعارة، ووجههـا كونهـم يجمعـون في ضلالهـم وفتنتهـم مـا اتّفـق مـن أقـوال وأفعـال كـما يجمـع الحاطـب، ومنـه المثـل: حاطـب ليـل. لمـن جمـع الغـثّ والسـمين، والحـقّ والباطـل في أقوالـه. ينظـر: شرح نهـج البلاغـة، ابـن ميثـم البحـراني (ت: ٦٧٩هـ)، عنـي بتصحيحـه عـدة مـن الأفاضـل وقوبـل بعـدة نسـخ موثـوق بهـا، ط١، مركـز النـشر مكتـب الاعـلام الإسـلامي - الحـوزة العلميـة - قـم - إيـران: ٢/ ٣٩٩.

(٢) نهـج البلاغـة، تحقيـق وضبـط النـص: الشـيخ قيـس بهجـت العطـار، ط١، مؤسسـة الرافـد للمطبوعـات، قـم المقدسـة، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م:١٨٤.

العربي في وقت البعثة النبوية الشريفة، فيقول: بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَة، أي: في حال ما هم ضالّون عن سبيل الله في حيرة من أمرهم ماذا يتبعون. وخاطبون في فتنة: أي كانت حركاتهم على غير نظام في ضلال البدع، وأما قوله: قد استهوتهم الأهواء: أي جذبتهم الآراء الباطلة إلى مهاوي الهلاك أو إلى نفسها، واستزلّتهم الكبرياء: أي قادتهم إلى الزلل والخطل عن طريق العدل واقتفاء آثار الأنبياء (عليهم السلام) في التواضع ونحوه، واستخفّتهم الجاهليّة الجهلاء فطارت بهم إلى ما لا ينبغي من الغارات والفساد في الأرض فكانوا ذوي خفّة وطيش، ولفظ الجهلاء تأكيد للأوّل كما يقال: ليل ألْيَل ووتد واتد، وقوله: حيارى في زلزال من الأمر وبلاء من الجهل: أي لا يهتدون لجهلهم إلى مصالحهم فهو منشأ اضطراب أمورهم وبلائهم بالغارات وسبى بعضهم بعضا وقتلهم[1].

وبعد هذه الأوصاف كلها التي ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) في المجتمع كان على النبي (صلى الله عليه وآله) أن يبلِّغ دعوته إلى هؤلاء الناس، ومن هنا يبدأ جهاده (صلى الله عليه وآله) في التبليغ، إذ إن هكذا مجتمع صعب التعامل في كل شيء، فكيف للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أن يبلغهم هذه الدعوة التي ستغير أكثر ما هم عليه وهم بهذه الطبيعة الجاهلية العمياء؟! ثم يذكر الإمام (عليه السلام) الطريقة التي اتبعها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) في التبليغ فيقول: «**فَبَالَغَ (صلى الله عليه وآله) فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ**».

وقوله: مضى على الطريقة أي سلوكه في الدعوة إلى سبيل الله من غير

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٢/ ٣٩٩- ٤٠٠.

انحراف، ودعوته إلى الحكمة والموعظة هي دعوته إلى سبيل الله بهما امتثالا لقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1]، وهي الدعوة إِلَىَ شِرَيعَةِ رَبِّكَ الَّتِي شَرَعَهَا لِخَلْقِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ (بِالْحِكْمَةِ) يَقُولُ بِوَحْيِ الله الَّذِي يُوحِيهِ إِلَيْكَ وَكِتَابِهِ الَّذِي يُنْزِلُهُ عَلَيْكَ (وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) يَقُولُ: وَبِالْعِبَرِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي جَعَلَهَا الله حُجَّةً عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ، وَذَكَّرَهُمْ بِهَا فِي تَنْزِيلِهِ، كَالَّتِي عَدَّدَ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ حُجَجِهِ، وَذَكَّرَهُمْ فِيهَا مَا ذَكَّرَهُمْ مِنْ آلَائِهِ (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يَقُولُ: وَخَاصِمْهُمْ بِالْخُصُومَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنْ غَيْرِهَا، أَنْ تَصْفَحَ عَمَّا نَالُوا بِهِ عِرْضَكَ مِنَ الْأَذَى، وَلَا تَعْصِهِ فِي الْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ عَلَيْكَ مِنْ تَبْلِيغِهِمْ رِسَالَةَ رَبِّكَ[2]، وأيضًا فالدعوة بالحكمة هي الدعوة بالبرهان، وبالموعظة هي الدعوة بالخطابة، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدعوهم بهذه الطريقة التي أمره الله سبحانه بها.

ويتضح من هذا النص أيضًا أن النبي (صلى الله عليه وآله) رأى منهم أذىً كثيرًا في تبليغهم الدعوة الإسلامية، فقد جحدوا فيها واتهموه بالسحر والكذب وأنه شاعر وكاهن وغيرها، فهم مجتمع لا يستوعب هكذا رسالة سماوية قائمة على مبدأ التسامح والعدل والسلام وما فيها من قيم كثيرة تسير بالأمة نحو الصلاح والإصلاح، بل كانوا يتبعون ما وجدوا عليه

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي و الدكتور عبد السند حسن يمامة، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: ١٤/ ٤٠٠.

آباءهم وهذا مقدس عندهم لا مساومة عليه، لذا نجدهم نفروا كل هذه الدعوة وحاربوها بكل الوسائل، لما فيهم من جهل وضلال، وما كان بينهم من فتن وقتل، فقد علموا أن هذه الرسالة هي الحق كما يقول الإمام (عليه السلام) لكن استهوتهم الأهواء أي اتبعوا أهواءهم، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، أي مع علمهم بالحق في هذه الدعوة إلا إن كبرياءهم منعهم من الدخول فيه، وهذا هو الجهل بعينه، لذا يردف الإمام (عليه السلام) بهذا فيقول: (وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلاَءُ)، أي جعلتهم في طيش ونزاع فاستخفت بعقولهم حتى لم يبق لهم أي فكر ليفكروا بما جاءهم في هذه الدعوة لتشبث العادات الجاهلية في نفوسهم، لذا تراهم حيارى في زلزال الأمر، أي لا يعلمون إلى أين هم ذاهبون، يتخبطون في تصرفاتهم لا ثبات لهم على أمر، لما ابتلوا فيه من الجهل الذي أعمى بصائرهم عن الحق.

وهذا ما استدعى من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) أن يكثر في تبليغ رسالته بالنصيحة والودِّ والتحبيب بها، ويسير معهم على الطريقة التي علمها الله سبحانه وتعالى له، وهي الدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة التي هي أساس مفتاح العقول ومرآة القلوب، ليحثهم على التفكير في الأمر والتفكُّر به، والموعظة وهي مرحلة ما بعد الحكمة، إذ بعد فتح عقولهم نحو الفكر الواسع يأتي النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) بالموعظة ليوضح لهم الطريق الذي هم فيه، ليصل بهم إلى برِّ الأمان وهو التصديق برسالته من دون الخوض في سبِّ آلهتهم وقتالهم وغيرها.

وقد تحمل منهم العداوة والبغضاء والأذى، فقد روي (عن ابن عباس: دخل النبي (صلى الله عليه وآله) الكعبة وافتتح الصلاة فقال أبو جهل: من

يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبعرى وتناول فرثا ودما وألقى ذلك عليه، فجاء أبو طالب (رضوان الله عليه) وقد سل سيفه فلما رأوه جعلوا ينهضون فقال: والله لئن قام أحد جللته بسيفي، ثم قال: يا بن أخي من الفاعل بك هذا؟ قال: عبد الله، فأخذ أبو طالب فرثا ودما وألقى عليه. وفي روايات متواترة إنه أمر عبيده أن يلقوا السلام عن ظهره ويغسلوه ثم أمرهم أن يأخذوه فيمروا على أسبلة القوم بذلك)[1]، إن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي من أتت أباها ورفعت عنه ما ألقاه القوم عليه[2]، وهذه واحدة من المضايقات التي كان يتعرض لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في دعوته إلى الدين الإسلامي.

وخلاصة ما تقدم (إن الله أرسل محمدا (صلى الله عليه وآله) في زمان جحد كثير من أهله بالخالق من الأساس، وأشرك آخرون بعبادة الأصنام، أو بما ابتدعوا من تحريف الكتب السماوية، والكل جحدوا بالقيم، وبالحلال والحرام فجاء محمد (صلى الله عليه وآله) وهو أميّ لا يعرف القراءة والكتابة، وقال للعالم كله آنذاك: أنتم على ضلال وفساد، ورسالتي هي وحدها الهدى والصلاح، ودليلها العقول السليمة والضمائر الحية، فارجعوا إليها إن أردتم الخير لأنفسكم... وبهذه الرسالة بنى محمد أمة، وأسس حضارات لا حضارة واحدة)[3]، ولذلك فإن (جهاد النبي (صلى الله عليه وآله) الأصنام جهاد

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب (ت: ٥٨٨هـ)، تحقيق وتصحيح وشرح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م: ١/ ٥٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ١/ ٤٥.

(٣) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، ط١، انتشارات كلمة الحق، ١٤٢٧هـ: ٢/ ٦٧.

مستمر طوال حياته ولم يقبل المساومة قط. وقد رفض الرسول (صلى الله عليه وآله) الأوثان، وبرهنت سيرته المطهرة على استنكارها والتصدي لها، حتى في أصعب الظروف، فكيف ينطق بمثل هذه الكلمات؟)[1].

ومن النصوص الواردة في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في تبليغ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) للدعوة وجهاده في دعوته إليها قوله: «**أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ، وَشَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ، فَبَلَّغَ رَسَالاَتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ وَلاَ مُقَصِّر، وَجَاهَدَ فِي الله أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِن وَلاَ مُعَذِّر، إِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصَرُ مَنِ اهْتَدَى**»[2].

يتحدث الإمام (عليه السلام) في النص عن أسلوب التبليغ الذي اتبعه النبي (صلى الله عليه وآله) وكيف جاهد أعداء الله، وما لاقاه من عذاب وأذىً من هؤلاء فقد روي (عَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله) مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَأَنَا فِي بِيَاعَةٍ لِي أَبِيعُهَا، وَمَرَّ عَلَيْهِ جُبَّةٌ لَهُ حَمْرَاءُ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «**أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا الله تُفْلِحُوا**»، قَالَ: وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ بِالْحِجَارَةِ، وَقَدْ أَدْمَى كَعْبَيْهِ وَعُرْقُوبَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُطِيعُوهُ، فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا غُلَامُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قُلْتُ: فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ؟ قَالُوا: عَمُّهُ عَبْدُ الْعُزَّى وَهُوَ أَبُو لَهَبٍ)[3].

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مطبعة سليمان زادة، قم المقدسة- إيران، ١٤٢٦هـ: ٨/ ٤٣٢.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ٢٣٠.

(٣) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة

جهاده (صلى الله عليه وآله) في التبليغ في الطائف:

لم يقتصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعوته على قريش أو على مكة، فلما رأى ما رأى من العذاب والتكذيب من قريش ومن معها في مكة، توجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الطائف ليبلغ رسالته لهم، وعسى أن يجد فيهم من ينصره، فلم يبق له في مكة من يدافع عنه، إذ (لما مات أبو طالب بمكة طمعت قريش في رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونالت منه ما لم تكن تناله في حياة أبي طالب، فخرج من مكة خائفا على نفسه مهاجرا إلى ربه يؤمُّ الطائف، راجيا أن يدعو أهلها إلى الإسلام فيجيبوه، وذلك في شوال من سنة عشر من النبوة، فأقام بالطائف عشرة أيام، وقيل شهرا، لا يدع أحدا من أشراف ثقيف إلا جاءه وكلمه، فلم يجيبوه، وأشاروا عليه أن يخرج عن أرضهم، ويلحق بمجاهل الأرض وبحيث لا يعرف، وأغروا به سفهاءهم، فرموه بالحجارة، حتى إن رجليه لتدميان، فكان معه زيد بن حارثة، فكان يقيه بنفسه، حتى لقد شج في رأسه)[1].

وإزاء هذا الصبر والجهاد من رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمسلمين على

الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ: ٧/ ٣٣٢، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م: ٢٥/ ٤٠٤- ٤٠٥، ٣١/ ٣٤٢.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع: ١٤/ ٩٦، وينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م: ٣/ ٢٨.

الأذى والتعذيب وإصرارهم في المضي بالدعوة بدأ المشركون من قريش باتباع أساليب جديدة في محاربة المسلمين بكل الوسائل، وبعد أن انتشر الإسلام في القبائل، اجتمع المشركون من كل القبائل وائتمروا، وقرروا مقاطعة المسلمين وبني هاشم دون أبي لهب، فلا يتزوجون منهم ولا يزوّجونهم، ولا يبيعون لهم شيئًا، ولا يشترون منهم، وتعاهدوا وتواثقوا على ذلك، وعلقوا صحيفة المقاطعة على الكعبة. فاضطر بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى النزوح إلى شعب أبي طالب شرقي مكة، وقطعت عنهم قريش كل أنواع المؤن، ولم يكن يتاح لهم الاختلاط بغيرهم من الناس إلا في الأشهر الحرم حين يفد العرب إلى مكة لزيارة البيت الحرام، وبلغ بهم الجهد حدًّا لا يطاق، فذاقوا الجوع والحرمان حوالي ثلاث سنوات لا يصل إليهم القوت إلا خفية، فقد روي (عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حُصِرْنَا فِي الشِّعْبِ ثَلاثَ سِنِينَ، وَقَطَعُوا عَنَّا الْمِيرَةَ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ بِالنَّفَقَةِ فَمَا يُبَاعُ شَيْئًا، حَتَّى مَاتَ مِنَّا قَوْمٌ)[1].

وهذا ما دعا كثيرًا من غير المسلمين الذين لا يعتقدون بأن النبي محمدا (صلى الله عليه وآله) مرسل من الله، يعترفون بأنه إنسان مفكر واع حقق أعظم الانتصارات. فهل يمكن لمن شعاره الأساس «لا إله إلا الله»، وجهاده الرافض لأي نوع من أنواع الشرك والوثنية. وحياته برهان على الإباء ورفض الأصنام، أن يترك فجأة سيرته تلك ليشيد بالأوثان؟![2].

وقد أُثر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف بعثة النبي الأكرم

(١) جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلاَذُري (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، دار الفكر- بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م: ١/ ٢٣٤.

(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٨/ ٤٣٢.

(صلى الله عليه وآله) وما جرى بعدها وكيف كان جهاده (صلى الله عليه وآله) في نشر الدعوة الإسلامية في مكة وما حولها، إذ بدأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حملته الكبرى في التبليغ إلى هذه الدعوة بعد أن ذهب إلى الطائف ودعاهم إلى الإسلام إلا أنهم لم يؤمنوا ورفضوا هذه الدعوة، فبدأت هنا مرحلة جديدة في التبليغ الذي تجاوز حدود قريش ومكة وبدأ نحو المدن التي حولها وهذا يشير إلى اتساع دائرة الدعوة وقوتها، لذا تهيأت قريش لردِّ هذه الدعوة، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : «**أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُعٍ مِنَ الالْسُنِ، فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي الله الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ**»[1].

والكلام في هذا النص (في وصف رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) وهو قوله: (أرسله على حين فترة من الرّسل) أي في زمان فتور منهم وانقطاع الوحي عنهم واندراس معالم دينهم...(وتنازع من الألسن) أي تشتّت الآراء والأهواء الموجب لاختلاف الكلمات، فإنّ النّاس في الجاهلية كان قوم منهم يعبدون الأصنام، وقوم يعبدون الشيطان، وطائفة تعبد الشّمس، وطائفة تعبد المسيح (عليه السّلام) ... فكانت كلّ طائفة تحتجّ على مخالفيها وتجادلهم وتنازعهم بألسنتهم لتصرفهم إلى مذهبهم. (فقفى به الرّسل) واتبعهم به (وختم به الوحي) والرسالة (فجاهد في الله) سبحانه بالقول والعمل (المدبرين عنه والعادلين به) أي الجاعلين له سبحانه عديلا ونظيرا)[2].

(١) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ٩٠٣

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت: ١٣٢٤هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم الميانجي، ط٤، المطبعة الإسلامية، طهران: ٨/ ٣٠٩.

ويتحدث الإمام (عليه السلام) هنا عن حال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) الذي جاء بعد انقطاع الرسل عن الناس لفترة طويلة وهذا ما أدى إلى انتشار الفساد والشرك والكفر بين الناس، لذا جاءت رسالة النبي (صلى الله عليه وآله) وهي رسالة متكاملة بشَّر بها الرسل (عليهم السلام) من قبل، وقد قفى الله بها الرسلَ وختم بها الوحيَ، فهذه الرسالة العظيمة التي جاءت بعد انقطاع طويل وستستمر إلى يوم القيامة، حملها خير خلق الله رسولنا الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلى الناس أجمع، و(تخصيص إرساله بذلك الزّمان وتلك الحال إشارة إلى كمال تلك النعمة وعظمة هذه الموهبة حيث هداهم بوجوده (صلَّى الله عليه وآله) من الضلالة وأنقذهم بمكانه (صلَّى الله عليه وآله) من الجهالة)[1]، لذا تتطلب هذه الرسالة منه (صلى الله عليه وآله) جهادًا كبيرًا في نشرها والحفاظ عليها إلى يوم القيامة، وهنا كان جهاده (صلى الله عليه وآله) المدبرين والعادلين[2]، (ولا ريب أنّ خلوّ الزمان عن الرّسول يستلزم ظهور الفساد والشّرور وانتشار البغي والفجور وكثرة الهرج والمرج، وتلك أحوال مذمومة وأفعال مشؤومة توجب تبدّل النّظام واختلال الأحكام والانهماك في الجهالات والتّورّط في الضّلالات ولحوق الذّم بهم بمقدار ما يلحقهم من المدح في حال الطاعة والقيام بوظائف

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي: ٧/ ١١١.

(٢) المدبرون عن الله: المعرضون عن اتّباع أوامره ونواهيه. والعادلون به: الجاعلون له عديلا وهو الندّ والمثل كالمشركين- تعالى عمّا يقولون علوّا كبيرا - ونسبة المجاهدة إلى الله تعالى استعارة، ووجهها أنّه تعالى رمى بمحمّد (صلَّى الله عليه وآله) المشركين كما يرمى المجاهد بنفسه وأعوانه ومجاهديه. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٣/ ١٥٥.

العبادة المتفرّعة على وجود الدليل وبعث الرّسول (صلى الله عليه وآله)[١].

بعد أن بدأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حملته الكبيرة في التبليغ، كانت ردة فعل المشركين كبيرة أيضًا، إذ بدأوا بالتضييق عليه (صلى الله عليه وآله) وعلى المسلمين ومن ثم قاموا باتباع وسائل جديدة في التقتيل والتعذيب والترهيب للمسلمين في محاولة لحصرهم وتحجيمهم ومن ثم القضاء عليهم جميعًا، إلا أن الله سبحانه وتعالى أبى إلا أن يتم نوره، وقد بدأت أولى حملات التعذيب والتنكيل بعد أن فقدَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عمَّه أبا طالب (رضوان الله عليه) الذي كان له نعم الناصر والحامي والسد المنيع بوجه المشركين، فبدأت قريش بضعفاء المسلمين تنكيلا وتقتيلا.

وقد حدد القرآن الكريم مراحل جهاد الرسول (صلى الله عليه وآله) في مكة على النحو التالي:

أولًا: أمر اللهُ سبحانه وتعالى الرسولَ (صلى الله عليه وآله) بأن يبدأ بعشيرته والمقربين له، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾[٢]، فالعشيرة بحكم قرابتها للرسول (صلى الله عليه وآله)، تكون أكثر استعدادًا في نصرته عند توسيع نطاق دعوته إلى ما عداها من العشائر والقبائل.

الثاني: أمر اللهُ سبحانه وتعالى النبيَّ (صلى الله عليه وآله) بعد ذلك أن يبلغ رسالته لمكة ومن حولها في قوله تعالى: ﴿**لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾[٣]، وتمثل هذه المرحلة انتقال الدعوة من العشيرة إلى قبيلة قريش صاحبة السيادة

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي: ٦/ ٢٦٢.
(٢) سورة الشعراء: ٢١٤.
(٣) سورة الأنعام: ٩٢.

في مكة، ومعها خُلفائها الضاربين خارج مكة نفسها.

ثالثًا: أمر اللهُ سبحانه وتعالى الرسولَ (صلى الله عليه وآله) بأن يوضح للناس أن دعوته والتدرج في نشرها لا تعني أنها محدودة بقريش والقبائل العربية وإنما هي دعوة للبشرية كافة، وأن جميع ما جاءت به تلك الدعوة من عقائد ونظم تتضح أهميتها الكبرى في قوله تعالى: ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾[2]، فالدعوة هي دعوة عالمية للناس جميعًا، ولا غرابة في ذلك لأنها آخر الدعوات والرسول (صلى الله عليه وآله) آخر الرسل، ولذلك كانت دعوة للناس جميعًا، إنما بُعثتُ للناس كافة، كما يبين ذلك النبي (صلى الله عليه وآله) واستجاب نفر من عشيرة الرسول الأقربين للدعوة الإسلامية، ولكنها كانت استجابة فردية رائدها الإيمان الصادق بما جاء به القرآن الكريم، وليس للعصبية دخل فيها، يعني: هؤلاء النفر الذين آمنوا بدعوة النبي (صلى الله عليه وآله) من عشيرته، لم يؤمنوا بدعوته (صلى الله عليه وآله) بسبب العصبية وأنه من عشيرتهم، ولكن بسبب اقتناعهم بهذه الدعوة كما وضحها القرآن الكريم[3].

---

(١) سورة يوسف: ١٠٤.

(٢) سورة سبأ: ٢٨.

(٣) ينظر: السياسة الشرعية، مناهج جامعة المدينة العالمية، (ماجستير) جامعة المدينة العالمية، ٢٠٠٩م: ٦٠.

المبحث الثاني
جهاده (صلى اللّه عليه وآله) في الهجرة

الهجرة النبوية الشريفة من أبرز الأحداث وأهمها في سيرة الدعوة الإسلامية، فقد كانت هذه الهجرة بمثابة اللبنة الأولى في بناء الدولة الإسلامية وقوتها بقيادة رسولنا الأعظم (صلى الله عليه وآله)، ونعني بها هجرته (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة (يثرب)؛ إذ حصلت قبلها هجرة للمسلمين إلى الحبشة من دون النبي (صلى الله عليه وآله)، إلا أن التي كانت إلى المدينة هاجر فيها النبي (صلى الله عليه وآله) والمسلمون جميعا من مكة ما خلا بعضهم ممن لم يستطيعوا الهجرة لأسباب منعتهم، وقد تحمل النبي (صلى الله عليه وآله) في هذه الهجرة الأذى والعذاب في ترك مكة التي كانت أحبَّ الديار إلى قلبه إلا أنَّه هاجر منها إعلاءً لكلمة الله وجهادًا في تبليغ دعوته.

هجرة المسلمين إلى الحبشة:

بعدما عمدت قريش إلى البطش بالمسلمين وخصوصا المستضعفين منهم، والتنكيل بهم وتعذيبهم أملًا منها في ردهم عن دينهم، إلا أنهم صبروا واحتسبوا حتى قتل بعضهم وبعضهم الآخر تحمل العذاب، فلما رأى سول الله (صلى الله عليه وآله) ما تفعله قريش بأتباعه، أمر (صلى الله عليه وآله)

بعض أتباعه بالهجرة إلى الحبشة، لأنهم مستضعفون ومعرضون لظلم قريش وأعوانها، لذا وجبت عليهم الهجرة لحفظ دينهم وسلامتهم، وفي هذا يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في وجوب الهجرة: «**وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الأَوَّلِ، مَا كَانَ لله تعالى فِي أَهْلِ الأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الأُمَّةِ وَمُعْلِنِهَا، لاَ يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَد إلاَّ بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلاَ يَقَعُ اسْمُ الاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ**»[1].

إذ (لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجة في الأرض... والمراد بالحجة في الأرض من يحتج الله به غدا على المقصرين في معرفة الدين أصولا وفروعا معصوما كان، أم عالما تقيًّا، أما سبب الهجرة فهو واحد من اثنين: الأول: أن يكون المسلم عارفا بأحكام دينه، ولكنه لا يستطيع ممارستها والقيام بها، لأنه يقيم في بلد كافر، ولا حرية فيه للأديان، وقد أمر النبي (صلى الله عليه وآله) جماعة من أصحابه بالهجرة الأولى إلى الحبشة فرارا من الاضطهاد، وخوفا أن يرتد بعض المسلمين عن دينهم بسبب الضغط والتعذيب، وتطلق على هؤلاء كلمة المستضعفين، وأيضًا أمر النبي (صلى الله عليه وآله) آخرين من الصحابة بالهجرة الثانية إلى المدينة المنورة، فهاجروا، ولحق هو بهم بعد ذلك توقعا لحياة أفضل للإسلام والمسلمين .

السبب الثاني: أن يكون المسلم جاهلا بالدين وأحكامه، ولا يجد من يرشده في البلد الذي يقيم فيه، فيجب عليه، والحال هذه، أن يهاجر لطلب المعرفة بما هو مكلف به من أصول الدين وفروعه، إن استطاع إلى ذلك

(١) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ٣٧٤.

سبيلا)[1].

والهجرة إلى الحبشة كانت للسبب الأول فقد جاء (عن ابن إسحاق قال: ومنع اللهُ بأبي طالب رسولَه (صلى الله عليه وآله)، فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه وما يصيبهم من البلاء والشدة، وأن الله تعالى قد أعفاه من ذلك، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم من قومهم، وأنه ليس في قومهم من يمنعهم كما منعه عمه أبو طالب، أمرهم بالهجرة إلى أرض الحبشة، وقال لهم: إن بها ملكًا لا يظلم الناس ببلاده في أرض صدق فتحرزوا عنده يأتيكم الله عز وجل بفرج منه، ويجعل لي ولكم مخرجًا، فهاجر رجال من أصحابه إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفروا إلى الله عز وجل بدينهم، واستخفى آخرون بإسلامهم)[2]. وَرَوَيَ عن عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: فَلَمَّا كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ وَظَهَرَ الإِيمَانُ، أَقْبَلَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ عَلَى مَنْ آمَنَ مِنْ قَبَائِلِهِمْ يُعَذِّبُونَهُمْ وَيُؤْذُونَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، قَالَ: فَبَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وآله) قَالَ لِمَنْ آمَنَ بِهِ: «**تَفَرَّقُوا فِي الأَرْضِ فَإِنَّ الله تعالى سيجمعهم**» قَالُوا: إِلَى أَيْنَ نَذْهَبُ؟ قَالَ: «**إِلَى هَاهُنَا**» ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَهَاجَرَ إِلَيْهَا نَاسٌ ذَوُو عَدَدٍ، مِنْهُمْ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ، حَتَّى قَدِمُوا

(١) في ظلال نهج البلاغة: ٣/ ٨٩.

(٢) سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م: ١٧٤، وينظر: السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م: ١/ ٣٢١- ٣٢٢.

أَرْضَ الْحَبَشَةِ[١].

وَالْهِجْرَةُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَرَّتَانِ، فَكَانَ عَدَدُ الْمُهَاجِرِينَ فِي الْمَرَّةِ الأُولَى اثْنَيْ عَشَرَ رجلا وأربع نسوة، ثم رجعوا عندما بَلَغَهُمْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ سُجُودُهُمْ مَعَ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) عِنْدَ قِرَاءَةِ سُورَةِ وَالنَّجْمِ... فَلَقُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَشَدَّ مِمَّا عَهِدُوا، فَهَاجَرُوا ثَانِيَةً، وَكَانُوا ثَلاثَةً وَثَمَانِينَ رَجُلا، إِنْ كَانَ فِيهِمْ عَمَّارٌ فَفِيهِ خِلافٌ بَيْنَ أَهْلِ النَّقْلِ، وَثَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَةً، إحدى عشرة قرشيات، وسبعا غرباء[٢].

وقد هاجرَ جَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ (رضوان الله عليه) فِي الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ إِلَيْهَا، وَذَلِكَ بَعْدَ عَوْدِ بَعْضِ مَنْ كَانَ خَرَجَ أَوَّلًا، حِينَ بَلَغَهُمْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَسْلَمُوا وَصَلُّوا، فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ، وَكَانَ فِيمَنْ قَدِمَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، فَلَمْ يَجِدُوا مَا أُخْبِرُوا بِهِ مِنْ إِسْلَامِ الْمُشْرِكِينَ صَحِيحًا، فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ مِنْهُمْ وَمَكَثَ آخَرُونَ بِمَكَّةَ، وَخَرَجَ آخَرُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَهِيَ الْهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ[٣].

فَخَرَجُوا مُتَسَلِّلِينَ سِرًّا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الشُّعَيْبَةِ، مِنْهُمُ الرَّاكِبُ وَمِنْهُمُ الْمَاشِي، فَوَفَّقَ الله لَهُمْ سَفِينَتَيْنِ لِلتُّجَّارِ حَمَلُوهُمْ فِيهِمَا بِنِصْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ

(١) ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (ت: ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، ط١، دار القلم – بيروت، ١٤١٤ه- ١٩٩٣م: ١/ ١٣٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ١٣٥.

(٣) ينظر: السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م: ٢/ ٦.

مَخْرَجُهُمْ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ النُّبُوَّةِ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى جَاءُوا الْبَحْرَ مِنْ حَيْثُ رَكِبُوا، فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا مِنْهُمْ[1]، ولم يسلم من هاجر إلى الحبشة من قريش فقد بعثت قريش من يتعقبهم وأرسلت إلى الحبشة وفودا محاولة أخذهم من ملك الحبشة، فقد روي أن قريشا بعثت فِي شَأْنِهِمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ[2] مَرَّتَيْنِ: الْأُولَى عِنْدَ هِجْرَتِهِمْ، وَالثَّانِيَةُ: عَقِيبَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَسُولا فِي الْمَرَّتَيْنِ، وَمَعَهُ فِي إِحْدَاهُمَا عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَفِي الْأُخْرَى عَبْدُ الله بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيَّانِ[3].

الهجرة إلى المدينة (الهجرة الكبرى):

توسعت دائرة الدعوة الإسلامية في مكة وما حولها مما شكل خطرًا على قريش، فزادت في عدائها للنبي (صلى الله عليه وآله) ومن يتبعه، فاتبعت أسلوبًا جديدًا في التعامل معهم محاولة بذلك ردهم عن دينهم، ومن هذه

---

(١) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ١/ ١٣٦.

(٢) أصحمة بن أبحر النجاشّي، ملك الحبشة، واسمه بالعربية عطيّة، النجاشّي لقب له، أسلم على عهد النبي (صلى الله عليه وآله)، ولم يهاجر إليه، وكان ردءا للمسلمين نافعا، وقصته مشهورة في المغازي في إحسانه إلى المسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام. وروي أنه لما مات النجاشيّ قال النبي (صلى الله عليه وآله): «**قد مات اليوم عبد صالح يقال له أصحمة، فقوموا فصلّوا على أصحمة**» فصفّنا خلفه. ينظر: المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المجلس العلمي- الهند، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٣هـ: ٣/ ٤٨٢، وينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢٢/ ٥٦، وينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ: ١/ ٣٤٧.

(٣) ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ١/ ١٣٥.

الأساليب أسلوب المحاصرة والمقاطعة، فقد تعاهدت قريش ومن معها من القبائل على مقاطعة النبي (صلى الله عليه وآله) ومناصريه وأتباعه حتى كتبت وثيقة بذلك تُلزم القبائل بما فيها، وذلك للنيل من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه، فما كان من النبي (صلى الله عليه وآله) وأتباعه إلا الصبر والثبات وتحمل الأذى، إذ (لما بلغ قريشًا فعل النجاشي لجعفر وأصحابه وإكرامه إياهم كبر ذلك عليهم وغضبوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه وأجمعوا على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكتبوا كتابًا على بني هاشم ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم...وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة...وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب (رضوان الله عليه) ليلة هلال المحرم سنة سبع من حين تنبئ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانحاز بنو المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب في شِعبه مع بني هاشم وخرج أبو لهب إلى قريش فظاهرهم على بني هاشم وبني المطلب وقطعوا عنهم الميرة والمادة فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغهم الجهد وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب فمن قريش من سره ذلك ومنهم من ساءه)[1].

أنفق رسول الله (صلى الله عليه وآله) ماله وأنفق أبو طالب (رضوان الله عليه) ماله وأنفقت خديجة بنت خويلد مالها، وصاروا إلى حد الضر والفاقة، وهذا الجهاد في البذل والإنفاق في سبيل الله قال تعالى: ﴿**لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، : ١/ ١٦٣.

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١]، ثم نزل جبرئيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: إن الله سبحانه وتعالى بعث الأرضة على صحيفة قريش فأكلت كل ما فيها من قطيعة وظلم، إلا المواضع التي فيها ذكر الله[٢].

فَذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) لأَبِي طَالِبٍ (رضوان الله عليه) فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو طَالِبٍ (رضوان الله عليه) لإِخْوَتِهِ وَخَرَجُوا إِلَى الْمَسْجِدِ. فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ (رضوان الله عليه) لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ: إِنَّ ابْنَ أَخِي قَدْ أَخْبَرَنِي وَلَمْ يَكْذِبْنِي قَطُّ أَنَّ الله قَدْ سَلَّطَ عَلَى صَحِيفَتِكُمُ الأَرَضَةَ فَلَحَسَتْ كُلَّ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ جَوْرٍ أَوْ ظُلْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ وَبَقِيَ فِيهَا كُلُّ مَا ذُكِرَ بِهِ الله. فَإِنْ كَانَ ابْنُ أَخِي صَادِقًا نزعتم عن سُوءِ رَأْيِكُمْ. وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا دَفَعْتُهُ إِلَيْكُمْ فَقَتَلْتُمُوهُ أَوِ اسْتَحْيَيْتُمُوهُ. قَالُوا: قَدْ أَنْصَفْتَنَا. فَأَرْسَلُوا إِلَى الصَّحِيفَةِ فَفَتَحُوهَا فَإِذَا هِيَ كَمَا قَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) فَسَقَطَ في أيديهم ونكسوا على رؤوسهم. فقال أبو طالب (رضوان الله عليه): عَلام نُحْبَسُ وَنُحْصَرُ وَقَدْ بَانَ الأَمْرُ؟ ثُمَّ دَخَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بَيْنَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ: اللهمَّ انْصُرْنَا مِمَّنْ ظَلَمَنَا وَقَطَعَ أَرْحَامَنَا. وَاسْتَحَلَّ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ مِنَّا. ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى الشِّعْبِ. وَتَلاوَمَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى مَا صَنَعُوا بِبَنِي هَاشِمٍ[٣].

وخلال فترة الإقامة في الشِعب كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا

(١) سورة التوبة: ٨٨- ٨٩.

(٢) ينظر: روضة الواعظين، الفتال النيسابوري (ت: ٥٠٨هـ)، تحقيق وتقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي – قم: ٥٣.

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ١/ ١٦٣- ١٦٤، وينظر: أبو طالب حامي الرسول (صلى الله عليه وآله) وناصره، نجم الدين العسكري (ت: ١٣٩٠هـ)، مطبعة الآداب - النجف الأشرف، ١٣٨٠هـ: ٥٧- ٥٨.

أخذ مضجعه ونامت العيون جاءه أبو طالب (رضوان الله عليه) فأنهضه عن مضجعه وأضجع عليًّا (عليه السلام) مكانه فقال علي (عليه السلام): يا أبتاه إني مقتول ذات ليلة فقال أبو طالب (رضوان الله عليه)

اصبرن يا علي فالصبر أحجى ... كل حي مصيره لشعوب

قد بذلناك والبلاء عسير ... لفداء النجيب وابن النجيب

لفداء الأغر ذي الحسب الثاقب ... والباع والفناء الرحيب

ان رمتك المنون بالنبل فاصبر ... فمصيب منها وغير مصيب

كل حي وان تطاول عمرا ... آخذ من سهامها بنصيب

قال علي بن الحسين (عليه السلام) كان أبو طالب يضرب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسيفه ويقيه بنفسه[1].

وبعد انتهاء المقاطعة التي فرضتها قريش على النبي (صلى الله عليه وآله) ومن تبعه، بدأت الدعوة مرحلة جديدة تمثلت في مبايعة بعض أهل الأمصار للنبي (صلى الله عليه وآله)، وقد انتهج النبي (صلى الله عليه وآله) أسلوبا جديدا في الدعوة وذلك في موسم الحج إذ بدأ بعرض الدين الجديد على الوافدين من القبائل ودعوتهم إليه وطلب المعونة منهم، فقد روي أن النبي (صلى الله عليه وآله) (خَرَجَ فِي الْمَوْسِمِ الَّذِي لَقِيَهُ فِيهِ النَّفَرُ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ لَقِيَ رَهْطًا مِنْ الْخَزْرَجِ أَرَادَ الله بِهِمْ خَيْرًا...قَالَ لَهُمْ: مَنْ أَنْتُمْ؟

(١) ينظر: روضة الواعظين، الفتال النيسابوري (ت: ٥٠٨هـ)، تحقيق وتقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي – قم: ٥٣- ٥٤.

قَالُوا: نَفَرٌ مِنْ الْخَزْرَجِ، قَالَ: أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَفَلَا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. فَجَلَسُوا مَعَهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ. قَالَ: وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللهُ بِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ، أَنَّ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ، وَكَانُوا هُمْ أَهْلَ شِرْكٍ وَأَصْحَابَ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا قَدْ غَزَوْهُمْ بِبِلَادِهِمْ، فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ نَبِيًّا مَبْعُوثٌ الْآنَ، قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ، نَتَّبِعُهُ فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ. فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) أُولَئِكَ النَّفَرَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمِ، تَعْلَمُوا وَاللهِ إِنَّهُ لَلنَّبِيُّ الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ، فَلَا تَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْإِسْلَامِ، وَقَالُوا: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنْ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمْ اللهُ بِكَ، فَسَنَقْدمُ عَلَيْهِمْ، فَنَدْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمْ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فَإِنْ يَجْمَعْهُمْ اللهُ عَلَيْهِ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ، ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله) رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا)[1].

وهذه أول بذرة للإسلام في يثرب إذ بدأت الدعوة هناك وبدأ الناس يدخلون إلى الإسلام فكثر عددهم وقويت قاعدتهم، إذ لما عاد هؤلاء إلى المدينة بدأوا بالدعوة إلى الإسلام، فقد روي أنه لما (قَدِمُوا الْمَدِينَةَ عَلَى قَوْمِهِمْ ذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى فَشَا فِيهِمْ فَلَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله) حَتَّى إِذَا كَانَ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ وَافَى الْمَوْسِمَ مِنَ الْأَنْصَارِ اثْنَا عَشَرَ

(١) السيرة النبوية، ابن هشام: ١/ ٤٢٨- ٤٢٩.

رَجُلًا فَلَقُوا رَسُولَ الله (صلى الله عليه وآله) بِالْعَقَبَةِ وَهِيَ الْعَقَبَةُ الْأُولَى فَبَايَعُوهُ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفْتَرَضَ عَلَيْهِمُ الْحَرْبَ فَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ الْقَوْمُ بَعَثَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ فَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ وَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ يُسَمَّى بِالْمُدِينَةَ الْمُقْرِئَ وَكَانَ مَنْزِلُهُ عَلَى أَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدِ بْنِ زُرَارَةَ أَخِي بَنِي النَّجَّارِ)[1].

حتّى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثني عشر رجلا فلقوه (صلى الله عليه وآله) بالعقبة وهي العقبة الأولى فبايعوا رسول الله (صلَّى الله عليه وآله)، قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) ليلة العقبة الأولى على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنّة، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحدّه في الدّنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه يوم القيامة فأمركم إلى الله عزّ وجلّ إن شاء عذّب وإن شاء غفر[2].

هكذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتحدى المشركين ويحاربهم في الدعوة إلى الإسلام، فقد صبر وجاهد حتى جعل الله له أتباعا وانصارا يذودون عنه بكل ما لديهم، بأموالهم وأنفسهم، إذ لَمَّا فَشَا الْإِسْلَامُ فِي الْأَنْصَارِ

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م: ١/ ٢٩٩.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت: ١٣٢٤هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم الميانجي، ط٤، المطبعة الإسلامية بطهران: ١٥/ ١٢٩.

اتَّفَقَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) مُسْتَخْفِينَ لَا يَشْعُرُ بِهِمْ أَحَدٌ، فَسَارُوا إِلَى مَكَّةَ فِي الْمَوْسِمِ فِي ذِي الْحِجَّةِ مَعَ كُفَّارِ قَوْمِهِمْ وَاجْتَمَعُوا بِهِ وَوَاعَدُوهُ أَوْسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بِالْعَقَبَةِ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ خَرَجُوا بَعْدَ مُضِيِّ ثُلُثِهِ، مُسْتَخْفِينَ يَتَسَلَّلُونَ حَتَّى اجْتَمَعُوا بِالْعَقَبَةِ، وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا وامرأتان، فبايعوه، وهي ما تسمى ببيعة العقبة الثانية[1].

بعد هذه الحوادث أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه بالهجرة إلى المدينة وبدأ بالمستضعفين الذين لا قوة لهم في تحمل أذى المشركين، ولَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) قَدْ حَمَلُوا الذَّرَارِيَّ وَالأَطْفَالَ إِلَى الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ عَرَفُوا أَنَّهَا دَارُ مَنَعَةٍ وَقَوْمُ أَهْلِ حَلْقَةٍ وَبَأْسٍ. فَخَافُوا خُرُوجَ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) فَاجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ. وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْحِجَى مِنْهُمْ لِيَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِ. وَحَضَرَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ كَبِيرٍ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ مُشْتَمِلِ الصَّمَّاءَ فِي بَتٍّ. فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وآله) فَأَشَارَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِرَأْيِ. كُلُّ ذَلِكَ يَرُدُّهُ إِبْلِيسُ عَلَيْهِمْ وَلا يَرْضَاهُ لَهُمْ. إِلَى أَنْ قَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ غُلامًا نَهْدًا جَلِيدًا. ثُمَّ نُعْطِيَهُ سَيْفًا صَارِمًا فَيَضْرِبُونَهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ. فَيَتَفَرَّقُ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ. فَلا يَدْرِي بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ بَعْدَ ذَلِكَ مَا

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م: ٣/ ٣٤، وينظر: الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م: ١/ ٦٩١.

تَصْنَعُ. قَالَ: فَقَالَ النَّجْدِيُّ: لله دَرُّ الْفَتَى! هَذَا وَالله الرَّأْيُ وَإِلا فَلا. فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ وَأَجْمَعُوا عَلَيْهِ. وَأَتَى جِبْرِيلُ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وآله) فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ وَأَمَرَهُ أَنْ لا يَنَامَ فِي مَضْجَعِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ[1]. وَجَاءَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) إلى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فعرض أبو بكر على النبي (صلى الله عليه وآله) أن يأخذ راحلة منه لكن النبي (صلى الله عليه وآله) رفض ذلك العرض وقال: بِالثَّمَنِ، أي أن أشتريها منك، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ اشْتَرَاهُمَا بِثَمَانِمِائَةِ دِرْهَمٍ مِنْ نَعَمِ بَنِي قُشَيْرٍ. فَأَخَذَ إِحْدَاهُمَا وَهِيَ الْقَصْوَاءُ. وَأَمَرَ عَلِيًّا (عليه السلام) أَنْ يَبِيتَ فِي مَضْجَعِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. فَبَاتَ فِيهِ عَلِيٌّ (عليه السلام) وَتَغَشَّى بُرْدًا أَحْمَرَ حَضْرَمِيًّا كَانَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) يَنَامُ فِيهِ. وَاجْتَمَعَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَطَلَّعُونَ مِنْ صِيرِ الْبَابِ وَيَرْصُدُونَهُ يُرِيدُونَ ثِيَابَهُ وَيَأْتَمِرُونَ أَيُّهُمْ يَحْمِلُ عَلَى الْمُضْطَجِعِ صَاحِبَ الْفِرَاشِ. فَخَرَجَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) عَلَيْهِمْ وَهُمْ جُلُوسٌ عَلَى الْبَابِ. فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ فَجَعَلَ يَذْرُهَا عَلَى رؤوسهم ويتلو: ﴿**يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾[2]. حتى بلغ: ﴿**وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾[3]. وَمَضَى رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) فَقَالَ قَائِلٌ لَهُمْ: مَا تَنْتَظِرُونَ؟ قَالُوا: مُحَمَّدًا. قَالَ: خِبْتِمْ وَخَسِرْتُمْ. قَدْ وَالله مَرَّ بِكُمْ وذرَّ على رؤوسكم التُّرَابَ. قَالُوا: وَالله مَا أَبْصَرْنَاهُ! وَقَامُوا يَنْفُضُونَ التراب عن رؤوسهم[4]. وفي مبيت أمير المؤمنين (عليه السلام) في فراش النبي (صلى الله عليه وآله) من التضحية ما يمكن

(١) ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ١/ ١٧٦.

(٢) سورة يس: ١ - ٢

(٣) سورة يس: ١٠

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ١/ ١٧٦.

لأحد وصفه بعد ما وصفه القرآن بقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[1]. فقد روي عن ابن عباس أنها نزلت في أمير المؤمنين (عليه السلام) حين نام في فراش النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)[2]، قال الثعلبي: ((ورأيت في الكتب إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما أراد الهجرة خلف علي بن أبي طالب (عليه السلام) بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده فأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه (صلى الله عليه وآله) وقال له: «**اتشح ببردي الحضرمي الأخضر، ونم على فراشي، فإنّه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله**»، ففعل ذلك علي (عليه السلام)، فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالبقاء والحياة؟ فاختار كلاهما الحياة فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب (عليه السلام) آخيت بينه وبين محمّد (صلى الله عليه وآله) فبات على فراشه [يفديه] نفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأس علي (عليه السلام) وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي: بخ بخ من مثلك يا بن أبي طالب، فنادى الله عزّ وجلّ الملائكة وأنزل الله على رسوله (صلى الله عليه وآله) وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي (عليه السلام) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

(١) سورة البقرة: ٢٠٧

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م: ٢/ ١٢٦.

يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ الله))[١].

وقد ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) وذلك فيما ورد في نهج البلاغة قوله: «**ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ، وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي، وَالْكِتَابِ الْهَادِي. أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَة، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَة، أَغصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ. مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلا بِهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ. أَرْسَلَهُ بِحُجَّة كَافِيَة، وَمَوْعِظَة شَافِية، وَدَعْوَة مُتَلافِيَة. أَظْهَرَ بِهِ الشَّرائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ الأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ**»[٢].

قال ابن أبي الحديد: (بالنور المضي، أي: بالدين، أو بالقرآن. وأسرته: أهله. أغصانها معتدلة، كناية عن عدم الاختلاف بينهم في الأمور الدينية. وثمارها متهدلة، أي: متدلية، كناية عن سهولة اجتناء العلم منها. وطيبة اسم المدينة، كان اسمها يثرب، فسماها رسول الله (صلى الله عليه وآله) طيبة ومما أكفر الناس به يزيد بن معاوية أنه سماها «خبيثة» مراغمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله). علا بها ذكره: لأنه (صلى الله عليه وآله) إنما انتصر وقهر الأعداء بعد الهجرة)[٣].

وقوله (عليه السلام): «**مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِت، فِي**

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢/ ١٢٥- ١٢٦، أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م: ٤/ ٨٧.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار:٣٠٣- ٣٠٤.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩/ ٢٣٧- ٢٣٨.

مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلاَمَةِ. قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ، دَفَنَ بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ النَّوَائِرَ، وَأَلَّفَ بِهِ إِخْوَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلاَمُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ»[1].

وقال (عليه السلام) في موضع آخر: «**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الصَّفِيُّ، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ(صلى الله عليه وآله) أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ، وَإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دالاًّ عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلاَمَ الاْهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الإِسْلاَمِ مَتِينَةً، وَعُرَا الإِيمَانِ وَثِيقَةً**»[2].

فقوله: مستقره خير مستقر: الضمير يعود إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمراد بمستقره بلده مكة المكرمة، ومنبته أشرف منبت في معادن الكرامة: يجوز أن يكون المراد بالمنبت هنا مكة لأنها محل ولادته، ويجوز أن يكون المراد نسبه الشريف، ومماهد السلامة: وهي المدينة المنورة حيث عاش فيها بسلام وأمان من أذى المشركين وشرهم، وأقام فيها دولة الإسلام، وأظهره سبحانه على الدين كله، قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار: عاش النبي (صلى الله عليه وآله) في مجتمع تسوده الفوضى والفساد، والضلال والانحلال، ومع ذلك كان - منذ صباه - محبوبا بشمائله عند الجميع، وثقة عند الجميع حتى أسموه الصادق الأمين، ولما بُعث وأعلن الحرب على الشرك والفساد تنكر له الطغاة الأشرار، وتألبوا عليه، وازداد الطيبون الأبرار له حبا وإخلاصًا من يومه إلى يومنا هذا، وإلى آخر يوم...وثنيت له أزمة

(١) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ١٨٥.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥٨.

الأبصار: اتجهت الأنظار إلى سيرته ورسالته في كل عصر ومصر، لأنها تشع بالهدى والنور[١].

ومما جاء في ذكر الهجرة عند أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: «**وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الأَوَّلِ، مَا كَانَ لله تعالى فِي أَهْلِ الأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الأُمَّةِ وَمُعْلِنِهَا، لاَ يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَد إِلاَّ بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلاَ يَقَعُ اسْمُ الاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ**»[٢].

كانت الهجرة واجبة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما زالت على حكمها اليوم والى آخر يوم، فالله غني عن العالمين، وعن معصية من عصاه، وطاعة من أطاعه سواء أعلن طاعته في دار الإسلام، أم أسرّها خوفا وتقية في بلاد الكفر. ولا تكون الهجرة إلا بمعرفة الحجة في الأرض ولا يطلق اسمها على أحد من دون معرفته بهذه الحجة، والمراد بالحجة في الأرض من يحتج الله به غدا على المقصرين في معرفة الدين أصولا وفروعا معصوما كان، أم عالما تقيا. أما سبب الهجرة فهو في أمرين:

الأول: أن يكون المسلم عارفًا بأحكام دينه، ولكنه لا يستطيع ممارستها والقيام بها، لأنه يقيم في بلد كافر، ولا حرية فيه للأديان، وقد أمر النبي (صلى الله عليه وآله) جماعة من أصحابه بالهجرة الأولى إلى الحبشة فرارا من الاضطهاد، وخوفا أن يرتد بعض المسلمين عن دينهم بسبب الضغط والتعذيب، وتطلق على هؤلاء كلمة المستضعفين، وأيضا أمر النبي (صلى الله

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢/ ٦٩- ٧٠.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ٣٧٤.

عليه وآله) آخرين من الصحابة بالهجرة الثانية إلى المدينة المنورة، فهاجروا، ولحق هو بهم بعد ذلك توقعا لحياة أفضل للإسلام والمسلمين.

الثاني: أن يكون المسلم جاهلا بالدين وأحكامه، ولا يجد من يرشده في البلد الذي يقيم فيه، فيجب عليه، والحال هذه، أن يهاجر لطلب المعرفة بما هو مكلف به من أصول الدين وفروعه، إن استطاع إلى ذلك سبيلا.

وعليه فمن عرف العالم بدين الله، وأخذه عنه مباشرة أو بالواسطة، واستطاع أن يمارسه، ويقوم بأحكامه كاملة - فلا تجب الهجرة عليه، بل له أجر من هاجر في سبيل الدين وإن كان مقيما، وهذا هو المراد من قول الإمام (عليه السلام): (فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر) أي عرف الحجة، وهي العالم بدين الله، والمعنى من عرف هذا العالم، وتعلم منه وعمل فله أجر المهاجر، وإن كان في بيته (وَلاَ يَقَعُ اسْمُ الاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ) عطف بيان وتفسير على من عرف وأقر، بقي قسم ثالث، وهو إن العالم بالدين وأحكامه يجب عليه كفاية أن يهاجر للإرشاد والتعليم إلى الأماكن الإسلامية التي لا يوجد فيها مرشد[1]. وتسمى هذه الهجرة بهجرة الدعوة ونشر الدين، وإن كان السبب من الهجرة في أقسامها كلها هو حفظ الدين ونشره، إلا أن هذه الهجرة تكون لذلك السبب من دون وجود الخطر على المهاجر في دار إقامته سواء على دينه أو حياته.

وقوله (عليه السلام): «**اقتصّ فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) ثم لحاقه به، فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ الله (صلى الله عليه**

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٣/ ٨٩- ٩٠.

وآله) فَأَطَأُ ذِكْرَهُ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ»[١].

وقد ذكر البحراني في (قوله (عليه السّلام) فأطأ ذكره: من الكلام الذي رمى به إلى غايتي الإيجاز والفصاحة، أراد إني كنت أعطي خبره، (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع، فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة...هذا الفصل من كلام يحكي فيه (عليه السّلام) ما كان جرى من حاله في خروجه من مكَّة إلى المدينة بعد أن هاجر إليها رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم). وذلك أنّه (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) لمّا عزم على الهجرة أعلم عليّا (عليه السّلام) بخروجه وأمره أن يبيت على فراشه خدعة للمشركين الَّذين كانوا عزموا على قتله في تلك الليلة وإيهاما لهم أنّه لم يبرح فلا - يطلبونه حتّى يبعد مسافته عنهم، وأن يتخلَّف بعده بمكَّة حتّى يؤدّي عنه الودائع الَّتي كانت عنده للناس فإنّ جماعة من أهل مكَّة استودعوه ودائع لما رأوا من أمانته)[٢].

فاستخراج العبرة والعظة من جهاد النبي (صلى الله عليه وآله) والمسلمين في هجرتهم، وتدبير الخطط وإحكامها الذي بلغ بالمسلمين إلى أوج النصر على عدوهم، وتحطيم طغيانهم وعدوانه، وقد يظن البعض أن الهدف الأول من هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) والمسلمين هو مجرد الهروب بدينهم من المشركين الذين تعرضوا للمسلمين بالأذى، ومنعوهم من ممارسة الشعائر والأعمال الدينية، تماما كما يلتجئ العابد الزاهد إلى المسجد ليقيم فيه صلاته

(١) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ٤٧٣، والعرج - بالتحريك- منزل بين مكة والمدينة. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣/ ٣٠٣.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٣٢٤.

بعيدا عن الضوضاء والغوغاء... كلا، لقد كانت هجرة المسلمين أبعد وأعمق من ذلك... والدليل ما حققته من نتائج وأهداف لقد كانت هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) خطة مرسومة ومدبرة تمهيدا للمعركة الفاصلة، تماما كانسحاب الجيش من ميدان القتال إلى موقع آخر من مواقعه للهجوم المعاكس والانقضاض على العدو بضربة قاضية لا تقوم له بعدها قائمة.

وبعد أن وصل النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة آخى بين أصحابه وجمع القلوب المتخاصمة، وأذاب ما فيها من عصبية وأحقاد، وحين تم له ذلك بدأ يرغب المسلمين في الجهاد، ويحثهم على الدفاع عن كيانهم وعقيدتهم، ويضمن الجنة لمن يقتل في سبيل الله، والعزة والكرامة دنيا وآخرة لمن ينجو من القتل. ولما أخذت هذه التعاليم سبيلها إلى نفوسهم شرع بتجنيدهم وتأليف السرايا، يبعثها هنا وهناك...وقادها بنفسه أكثر من مرة، وحققت الاستقرار والأمن للمسلمين، كما أقلقت راحة قريش وسلامتها...ثم تحولت السرايا إلى معارك كبرى،- والمسلمون يبذلون أرواحهم وأموالهم، حتى جاء نصر الله والفتح» وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا[1].

(١) ينظر: الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، ط٤، دار التعارف للمطبوعات -بيروت- لبنان، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م: ٤٧٥، وينظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، ط٢، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان، ١٩٨٧م: ٢/ ٤٢١- ٤٢٢.

الفصل الثاني
جهاده (صلى اللّه عليه وآله)
بعد الهجرة

المبحث الأول: جهاده (صلى الله عليه وآله) في بناء المجتمع الإسلامي

المبحث الثاني: جهاده (صلى الله عليه وآله) في المعارك

توطئة:

بعد تلك المرحلة وما صاحبها من آلام ومصاعب وحزن وعذاب في تبليغ الدعوة الإسلامية وجهاد أعداء الله الذين نصبوا العداء لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن تبعه، وما تحمّل فيها المسلمون من ذلك الكثير، فوجدوا في المدينة مستقرهم ومأواهم الآمن من كيد الأعداء، ومن هناك بدأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنشاء دولته العظيمة، القوية التي سيواجه بها العالم أجمع لإعلاء كلمة الله واتباع الحق، لتكون قاعدة انطلاق لتلك الدعوة المباركة، وقد قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أول الأمر بمجموعة من الأمور لتوحيد الصف الإسلامي ومنها بناء المسجد والمؤاخاة، فقد كانت المؤاخاة بَعْدَ بِنَائِهِ (صلى الله عليه وآله) الـمَسجد. وَقَدْ قِيلَ: كَانَ ذَلِكَ وَالْمَسْجِدُ يُبْنَى، وَقَالَ أَبُو عُمَرَ: بَعْدَ قُدُومِهِ (صلى الله عليه وآله) الْمَدِينَةَ لِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ[1]. وهي أول بذرة في بناء تلك الدولة:

(١) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ١/ ٢٣١.

المبحث الأول
جهاده في بناء المجتمع الإسلامي

أولًا: بناء المسجد:

يعد بناء المسجد أولى الخطوات في تأسيس الدولة الإسلامية فقد كان هذا هو أول عمل قام به النبي صلّى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة. وقد عمل في بنائه بنفسه مع أصحابه، وحول المسجد أقيمت مساكن الرسول (صلى الله عليه وآله)... والمسجد العظيم قام بالدور الرئيس في حياة الإسلام والدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي. فلم يقتصر مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) على إقامة الصلوات فيه، وإنما أصبح مركز النشاط الإسلامي كله، فهو مهبط الوحي، يتلقاه النبي (صلى الله عليه وآله) فيه ويبلغه للناس، وفيه كان النبي (صلى الله عليه وآله) يعلم الناس أمور الدين والدنيا ويدربهم على فنون الحكم والقيادة والإدارة، ويعدّهم للدور العظيم الذي ينتظرهم لقيادة العالم، ونشر الدين، وحماية العقيدة، وبناء دولة الإسلام وتطويرها على أساس شريعة الله.

وكان المسجد مركز حكومة النبي (صلى الله عليه وآله)، فيه يقضي ويحكم بين الناس في المنازعات، وفيه يعقد الألوية والرايات لقواد حملاته العسكرية، ويعقد عهود الولاية للعمال على المناطق التي تدخل في تبعية الدولة الإسلامية. وفيه كان يستقبل الوفود الأجنبية، ومنه يرسل مبعوثيه

كذلك، وحاملي رسائله إلى الأمراء والملوك والأباطرة المعاصرين، وفيه كان (صلى الله عليه وآله) يناقش مشاكل المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية مع أصحابه بروح المعلم العظيم والقائد الفذ. وباختصار شديد ففي هذا المسجد البسيط اتخذت أعظم القرارات التي غيرت وجه التاريخ، وبدلت مصائر العالم، ومنه خرجت شعلة النور التي أضاءت جنبات الأرض، فلا غرو إذن إذا اعتبرنا بناء مسجد المدينة من أهم ركائز قيام الدولة الإسلامية[1].

وكذلك تتضح أهمية هذا العمل العظيم بوصفه عملًا له دلالته وأهميته البالغة. وذلك لأن المسلمين كانوا فئتين: مهاجرين وأنصارًا، وتختلف ظروف كل من الفئتين، وأوضاعها النفسية، والمعنوية، والمعيشية، وغير ذلك عن الفئة الأخرى. والمهاجرون أيضًا كانوا من قبائل شتى، ومستويات مختلفة: فكريًّا، واجتماعيًّا، ماديًّا، ومعنويًّا، ويختلفون في طموحاتهم، وتطلعاتهم، ومشاعرهم، وفي علاقاتهم، ثم في نظرة الناس إليهم، ومواقفهم منهم، وتعاملهم معهم، إلى غير ذلك من وجوه التباين والاختلاف، وقد ترك الجميع أوطانهم وأصبحوا بلا أموال، وبلا مسكن، إلى غير ذلك مما هو معلوم، وكذلك الأنصار؛ فإنهم أيضًا كانوا فئتين متنافستين، لم تزل الحرب بينهما قائمة على ساق وقدم إلى عهد قريب.

وقد أراد الإسلام أن ينصهر الجميع في بوتقته، ليصبحوا كالجسد الواحد، في توادهم وفي تراحمهم وتعاونهم، وغير ذلك، وأن تتوحد جهودهم وأهدافهم، وحركتهم، ومواقفهم، الأمر الذي يؤكد الحاجة إلى إعدادات نفسية، وخلقية،

(١) ينظر: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، عبد الشافي محمد عبد اللطيف، ط١، دار السلام – القاهرة، ١٤٢٨هـ: ١٦٧.

وفكرية لكل، هذه الفئات وتربيتها من جديد على تعاليم الدين الإسلامي، لتستطيع أن تتعايش مع بعضها البعض، ولتكون على مستوى المسؤولية، الذي يؤهلها في عملية بناء المجتمع المتكافل المتماسك، الذي هو نواة الأمة الواحدة التي لها ربٌّ واحدٌ وهدفٌ واحدٌ، ومصيرٌ واحدٌ.

وليصبح هذا المجتمع قادرًا على تحمّل مسؤولية حماية الرسالة، والدفاع عنها، حينما يفرض عليه أن يواجه تحدي اليهود في المدينة، والعرب والمشركين، بل والعالم بأسره، لا بد أن تنصهر كل الطاقات والقدرات الفكرية والمادية وغيرها لهذا المجتمع في سبيل خدمة الهدف وهو الرسالة فقط.

والمسجد هو الذي يمكن فيه تحقيق كل ذلك، إذ لم يكن مجرد محل للعبادة فقط، بل كان هو الوسيلة الفضلى للتثقيف الفكري، إن لم نقل: إنه لا يزال حتى الآن أفضل وسيلة لوحدة الثقافة والفكر والرأي، حينما يفترض فيها أن تكون من مصدر واحد، وتخدم هدفًا واحدًا في جميع مراحل الحياة، مع الشعور بالقدسية، والارتباط بالله تعالى[1].

ثانيًا: المؤاخاة:

من أسمى مظاهر الوحدة والترابط والتآلف بين المسلمين، فقد عمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى هذه الخطوة في ظاهرة لم يعهدها الناس، فقد ألف بين قلوب المسلمين من المهاجرين والأنصار وجعلهم بنعمة الله إخوانا تجسيدا لقوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا**

(١) ينظر: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، السيد جعفر مرتضى العاملي، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر- قم - إيران، ١٤٢٦هـ: ٥/ ٨٨- ٩٠.

نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

فقد أذاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذه الأخوة تراكمات الإرث الجاهلي التي كانت مستوطنة في نفوس بعض الناس، وأنهاها بنجاح كبير حتى جعلهم إخوانا بعد أن كانوا أعداءً يقتل بعضهم بعضا. وفي ذلك يشير أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذه المؤاخاة فيقول: «**قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ، دَفَنَ اللهُ بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ، وأَلَّفَ بِهِ إِخْوَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلاَمُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ**»[2].

فقوله: دفن به الضغائن، وأطفأ به الثوائر، وألّف به إخوانا: فإن العرب لم تجتمع لها كلمة في يوم من الأيام إلا على عهد محمد (صلى الله عليه وآله) وبفضل الله وفضله، ولما هاجر إلى المدينة كان بين قبيلتيّ الأوس والخزرج حرب دامية ومتصلة، فألغى النبي (صلى الله عليه وآله) ما كان بينهما من حرب وخصومة، وكف أيدي بعضهم عن بعض، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة: ﴿**فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾، وفرق به أقرانا: فرق الإسلام بين الأب الكافر الضال، والابن الذي أسلم وآمن بمحمد (صلى الله عليه وآله) والعكس، فقد كان عتبة بن ربيعة أول من بارز المسلمين وحاربهم يوم بدر، وكان ابنه حذيفة يحارب مع رسول الله (صلى الله عليه

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ١٨٥.

وآله)... وأعز الله به الذلّة: أي: إن المستضعفين أيام الشرك صاروا أقوياء أعزاء بالإسلام، كعمار بن ياسر، وسلمان، وبلال وغيرهم كثير، وأذل به العزة: من المشركين الطغاة[1].

وقد كانت المؤاخاة بَعْدَ بِنَائِهِ (صلى الله عليه وآله) الْمَسْجِدَ. وَقَدْ قِيلَ: كَانَ ذَلِكَ وَالْمَسْجِدُ يُبْنَى، وقيل: بَعْدَ قُدُومِهِ (صلى الله عليه وآله) الْمَدِينَةَ لِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ[2]. (والمؤاخاة تسمية إسلامية للنظام العربي القديم، وهو نظام الحِلْفِ فقد جعل كل رجل من المهاجرين يؤاخي رجلًا من الأنصار، فيصير الرجلان أخوين بينهما من الروابط ما بين الأخوين من قرابة الدم. وقد أنزل النبي (صلى الله عليه وآله) هذه القرابة الحكمية منزلة الأخوة الطبيعية. بأن جعل المتآخِيَينِ يرث أحدهما الآخر، فإذا مات المهاجر ورثه أخوه الأنصاري، وإذا مات الأنصاري ورثه أخوه المهاجر. وقد ظل المهاجرون والأنصار يتوارثون بهذا النظام إلى أن استقرت الدولة الإسلامية في يثرب ووضع نظام التوارث الإسلامي على أساس القرابة الطبيعية. فهذا كان نظامًا مؤقتًا في حقيقته والغرض منه سياسي، وهو الربط والتأليف بين المهاجرين إلى المدينة وبين أهلها الأصليين)[3].

إن المسلمين لما هاجروا من مكة إلى المدينة قطع الإسلام كل روابطهم وعلاقاتهم بأقاربهم وأقوامهم المشركين الذين كانوا في مكة تماما، فقد أجرى النبي (صلى الله عليه وآله) بأمر الله عقد المؤاخاة بينهم وعقد عهد المؤاخاة

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢/ ٦٩- ٧٠.

(٢) ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ١/ ٢٣١.

(٣) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (صلى الله عليه وآله) أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي: ٣٢٥.

بين المهاجرين والأنصار، إلا أن هذا الحكم كان مؤقتا وخاصا بحالة استثنائية جدا، فلما اتسع الإسلام وعادت العلاقات السابقة تدريجيا لم تكن هناك ضرورة لاستمرار هذا الحكم، فنزل الحكم بتركه وإلغائه، وجعل حكم الإرث وأمثاله مختصا بأولي الأرحام الحقيقيين[١].

ثالثًا: استراتيجية النبي (صلى الله عليه وآله) في القتال:

تقديمه أهل بيته في المعارك

تبنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) استراتيجية خاصة في المعارك، لم يعمل بها أحد قبله، إذ تميز (صلى الله عليه وآله) بخططه المحكمة في المعارك، التي لو طبقها أصحابه ما هزموا في معركة قط، ومن هذه الاستراتيجية أنه (صلى الله عليه وآله) كان يقدم أهل بيته (عليهم السلام) في القتال ليدفع عن أصحابه بهم، ويكونوا وجها لوجه مع العدو، وقد ورد هذا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ يقول في نهج البلاغة: «**وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيش خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْف يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَة تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْن. وَكَانَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصَحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْر، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُد، وَقُتِلَ جعفر يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ، مَنِيَّتَهُ أُخِّرَتْ**»[٢].

ويتضح من طريقة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في القتال أنه يقدم

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٠/ ٣٣٣.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ٤٨٨.

أهل بيته (عليهم السلام) على أصحابه ولعل ذلك لأمور منها:

١. إن أهل بيته (عليهم السلام) أشد قتالا من أصحابه وهم معروفون بالشجاعة والشدة والبأس في القتال، لذا يقدمهم حتى يكسر هيبة جيش العدو بهم، ويهز أركانه ليضمن النصر عليهم.

٢. تشجيع المقاتلين على القتال ورفع معنوياتهم، فالمقاتل عندما يرى قائد الجيش يتقدم ويقدم أهل بيته، فإنه سوف يبذل كل طاقته في القتال لأنه يجد نفسه كواحد منهم.

٣. في تقديم أهل بيته (عليهم السلام) على أصحابه حجة على أعدائه، في بيان أنه على الحق، إذ لو أنه لم يكن على الحق لما قدم أهل بيته بل لخافَ عليهم القتل، وأخرهم، لذا نراه يقدمهم لما فيه الخير لهم وهو الشهادة في سبيل الله لينالوا رحمة من الله ورضوانًا وجنة عرضها السماوات والأرض.

٤. تتجلى مكانة أهل البيت (عليهم السلام) في هذا التقديم فهم أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأحق به من غيرهم، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) أقرب الخلق من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو أحق الناس به.

٥. يتضح في قوله: (وَأَحْجَمَ النَّاسُ) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يضع ثقته في أهل بيته (عليهم السلام) في القتال لأنهم لا يولون الأدبار كما فعل بعض أصحابه في أحد وحنين، فقد جعل أهل بيته الدرع الحصين في الدفاع عن الدين وإعلاء كلمة الحق.

فقد (كانت قريش بطونا وفروعا، وفي كل فرع منها فقراء ومستضعفون، فإن أسلم واحد منهم كان في أمن وأمان من أذى الطغاة بعشيرته أو حلفائها وأنصارها، أما آل البيت (عليهم السلام) فقد تظاهرت عليهم قوى الشر حتى من العشيرة والأحلاف، وفي طليعتهم عمه أبو لهب الذي نزلت فيه وفي امرأته سورة خاصة، ولولا أن يدفع الله عن نبيه بعمه أبي طالب لقضي على الإسلام، وهو في المهد، وقال أهل السير والتاريخ: إن أبا طالب عانى كثيرًا في سبيل الإسلام ونبيه (صلى الله عليه وآله)... وقوله: (وكان رسول الله إذا احمر البأس إلخ) كانت بدر المعركة الأولى للمسلمين مع المشركين ، واليها أشار سبحانه بقوله : ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ا للهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ**﴾[1] وفيها قتل ابن عم النبي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) أشدهم بأسا وقتلا بقريش إذ كانوا حين يتفحصون في وجوه القتلى الذين قتلهم الإمام عليّ (عليه السلام) يرون أنهم وجوه قريش، وأهل العزة والقوة فيها، كما أنهم كانوا رؤوسًا في الكفر، والمحادّة لله ورسوله (صلى الله عليه وآله)، وانه قلّ أن يكون بيت من بيوت قريش لم ينله سيف علي (عليه السلام) في تلك الوقعة، إنه بطلها وفارسها. وقُتِلَ عمُّ النبي (صلى الله عليه وآله) حمزة في معركة أحد ، واليها أشار سبحانه بقوله: ﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ**﴾[2]، وكذلك قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهل بيته في هذه المعركة وروي: لقد كان لعلي (عليه السلام) في يوم أحد من الإطاحة برؤوس أئمة الكفر من قريش ما كان له

(١) سورة آل عمران: ١٢٣

(٢) سورة آل عمران: ١٥٣

في يوم بدر. ومن هنا كانت استراتيجية النبي (صلى الله عليه وآله) في المعارك ناجحة في حصول النصر المؤزر على الرغم من هزيمة بعض أصحابه إلا أنه قدّم أهل بيته وأولهم أمير المؤمنين (عليه السلام) ليقوموا بما كُلِّفوا به لأنهم لا يولون الأدبار، واستشهد ابن عم النبي (صلى الله عليه وآله) جعفر ابن أبي طالب (رضوان الله عليه) بمؤتة ، وكان حامل الراية، قطعت يداه، وما فر من المعركة، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله أبدله بهما جناحين يطير بهما في الجنة، وهذا خير دليل على أن أهل بيته (عليهم السلام) لا يولون الأدبار في المعارك. وفي قوله: (وأراد من لو شئت ذكرت اسمه ...) يشير الإمام (عليه السلام) إلى نفسه، وإنه تمنى الشهادة[1].

عدم المُثلة:

يعطي رسول الله (صلى الله عليه وآله) مثلا رائعا في آداب الحرب والقتال، ذلك لما يملك من خلق رفيع واحترام كبير حتى لأعدائه الذين يقاتلونه، إذ لم يكن يحمل عليهم الحقد والضغينة، بل كان قتاله لهم في سبيل الله وإعلاء كلمة الحق، وارشادهم إلى جادة الصواب، فالإسلام دين رحمة جاء به رسول الرحمة (صلى الله عليه وآله) لنشره في العالم أجمع، وهذا ما نراه واضحا في معاركه إذ نجده يكرم حتى أعدائه ومن ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ جاء في نهج البلاغة قوله: «**يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لاَ أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا، تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَلاَ لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إِلاَّ قَاتِلِي، انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَة، وَلاَ يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله (صلى الله**

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٣/ ٤٠٠- ٤٠١.

عليه وآله) يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بَالْكَلْبِ الْعَقُورِ»[١].

المساواة:

لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يفرق في قتاله بين المشركين أكان قريبا منه بالنسب أم لا، إذ قاتل عشيرته ومنهم بعض أعمامه الذين لم يدخلوا الإسلام وهذا ما حدث في معاركه (صلى الله عليه وآله) في بدر وأحد وفتح مكة وغيرها، وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «**وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله)، وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ بَيْنَ الآباءِ وَالأَبْنَاءِ وَالاخوَانِ وَالْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَة وَشِدَّة إِلاَّ إِيمَانًا، وَمُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ، وَتَسْلِيمًا لِلأَمْرِ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ**»[٢].

(١) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ٥٦١.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ٢٣٧- ٢٣٨.

المبحث الثاني
جهاده (صلى اللّه عليه وآله) في المعارك

كان النبي (صلى الله عليه وآله) القائد المقاتل والمخطط المدبر في المعارك التي خاضها المسلمون ضد الشرك والنفاق، ولم يكن قائدا يعمل على رسم الخطط فقط، بل كان يقاتل إلى جانب جنده ويقدم نفسه عليهم في القتال، فيكون أقرب الجيش على الأعداء. فقد قاتل بنفسه في معارك عدة إذ نَسَبَ الْمَسْعُودِيّ إِلَى بَعْضِهِمْ أَنّ الْبُعُوثَ وَالسّرَايَا كَانَتْ سِتّينَ. قَاتَلَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله) فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ، وَقيل: قَاتَلَ فِي إحْدَى عَشْرَةَ غَزْوَةً، مِنْهَا الْغَابَةُ وَوَادِي الْقُرَى[1]. و((نقل الحافظ في الفتح عن ابن عقبة أنه قال: قاتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنفسه في ثمان غزوات، وراجعت نسخة صحيحة في مغازي ابن عقبة ونصّه: ذكر مغازي رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي قاتل فيها، قاتل في بدر ... ثم قال: وغزا رسول الله (صلى الله عليه وآله) اثنتي عشرة غزوة لم يكن فيها قتال))[2].

---

(١) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ: ٧/ ٥٠٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ

وهذه المعارك التي قاتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنفسه ثمان معارك هي: بدر، ثم أحد، ثم الأحزاب، ثم المصطلق، ثم خيبر، ثم مكة، ثم حنين، ثم الطائف[١]، وروى ابنُ كَثِيرٍ عن قتال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وشدة بأسه ((وَقَدْ قَاتَلَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه [وآله] وسلم- بِنَفْسِهِ الكَرِيمَةِ قِتَالًا شَدِيدًا بِبَدَنِهِ...))[٢].

ونذكر بعض المعارك التي شارك فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجاء فيها وصف لقتاله وهي:

معركة بدر الكبرى (٢هـ)

بعد أن أستقر المسلمون في المدينة المنورة، اتخذ الجهاد طابع المواجهة والردع وذلك انطلاقا من قوله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[٣]، فالآية الكريمة قد أعطت الإذن للمسلمين أن يقاتلوا أعداء الله

عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م: ٤/ ٩.

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: ١٤٠٣هـ)، ط٨، دار القلم - دمشق، ١٤٢٧هـ: ٢/ ٥٦٤.

(٢) اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (دراسة محققة للسيرة النبوية)، موسى بن راشد العازمي، ط١، المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م: ٢/ ٤١٤- ٤١٥.

(٣) سورة الحج: ٣٩- ٤٠.

من المشركين وإن الله سبحانه وتعالى ناصرهم ومؤيدهم بتأييده.

وكان سبب المعركة أن المسلمين لما هاجروا من مكة أخذت قريش أموالهم وأملاكهم وجمعتها، وذهبت بها في تجارتها مع الشام، فأراد المسلمون اعتراض هذه القافلة وأخذ أموالهم التي سلبت منها غير أن القافلة علمت بالأمر وكان عليها أبو سفيان بن حرب وتوجهت إلى وجهة أخرى وأرسلت إلى قريش وأعلمتهم باعتراض المسلمين لها، فجهزوا الجيوش لقتال المسلمين وتوجهوا إلى المدينة ، ولم يكن في نية المسلمين القتال في أول الأمر عندما توجهوا إلى القافلة ولهذا رجعوا إلى المدينة حين لم يحصلوا عليها، لكنهم بعد تحشيد قريش وتوجههم إلى المدينة استنفروا قوتهم وخرجوا لقتالهم على قلتهم وضعف تجهيزهم مقارنة بقريش فالتقَوا عند آبار بدر بالمسلمين.

فكان الإيمان في قلوب الذين آمنوا أقوى من العدد والعدة لدى العدو، فهم على الحق وأيدهم الله بنصره، بقائد شجاع مثل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأبطال أشداء على الكفار كأمير المؤمنين (عليه السلام) وأمدهم بملائكة يقاتلون إلى جنبهم، فهذه الأسباب هي التي أدت إلى مواجهة قريش. وكانت بدر هي المعركة التي أعزّ الله تعالى بها الإسلام، وأهلك رؤوس الكفر قال ابن إسحاق: وبلغ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بدرًا- ماء كان ليخلد بن النضر، ويقال لرجل من جهينة- وبين بدر والمدينة ثمانية برد، وبلغ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أن أبا سفيان بن حرب، مقبل من الشام، في قافلةٍ لقريش عظيمة، فيها أموال لقريش، وتجارة من تجارتهم، وفيها ثلاثون رجلا من قريش، أو أربعون رجلا... فلما سمع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بأبي سفيان مقبلا من الشام، ندب إليهم المسلمين، وقال: هذه عِيرُ

قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعل الله ينفلكموها، فانتدب الناس، فخف بعضهم، وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يلقى حربا.

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز، يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان، تخوفا على أمر الناس، حتى أصاب خبرا من بعض الركبان، أن محمدا (صلى الله عليه وآله) قد استنفر أصحابه لك ولعِيرِك، فحذر عند ذلك، فاستأجر رجلا، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتيَ قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه.

فخرج ذلك الرجل سريعا إلى مكة، فصرخ ببطن الوادي يقول: يا معشر قريش!! اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان، قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث.

فتجهز الناس سراعا، فكانوا بين رجلين، إما خارج وإما باعث مكانه رجلا، فلم يتخلف من أشرافها أحد، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب قد تخلف، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم، كانت له عليه، أفلس بها، فاستأجره بها، على أن يجزئ [عنه] بعثه، فخرج عنه، وتخلف أبو لهب.

وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) من المدينة يوم الإثنين لثمان ليالي خلون من رمضان، فساروا حتى التقوا مع المشركين ببدر.

وخرج المسلمون مع رسول (صلى الله عليه وآله)، وهم ثلاثمائة وخمسة، وثمانية تخلفوا ضرب لهم بسهامهم وأجورهم، وكانت الإبل سبعين بعيرا،

وكانوا يتعاقبون الإبل، الاثنين، والثلاثة، والأربعة، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، ومرثد، ويقال: زيد بن حارثة، يتعاقبون بعيرا واحدا، واستعمل على الماء قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول، وأمره حين فصل من بيوت السقيا أن يعد المسلمين، فوقف لهم، فعدّهم، وأخبر النبي (صلى الله عليه وآله).

ومضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى إذا كان دوين ماء بدر، أتاه الخبر بمسير قريش، فأخبرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمسيرهم، واستشار رسول الله (صلى الله عليه وآله) الناس، قال: فلما فرغ سعد من المشورة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): سيروا على بركة الله، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنّي انظر إلى مصارع القوم، قال: ونزل بأدنى بدر، عشاء ليلة الجمعة، ولسبع عشرة ليلة من رمضان، واستشار في المنزل، فأشار الحباب بن المنذر بنزوله على قليب بدر، فتحول إليه، وبنى له عريش من جريد، فدخله رسول الله (صلى الله عليه وآله)[1].

ويتضح دور رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قيادته للمعركة بكل شجاعة وحكمة ورحمة، وقد كان نعم القائد الفذ، إذ لم يجعل الجيش يتقدم عليه كما هو حال القادة في المعارك، إذ نرى القائد يقول لجيشه تقدموا وهو خلفهم، لكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان على العكس، فقد كان يسير

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٨٢- ١٨٨، وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ١/ ٢٨١- ٢٨٣، وإمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ٣٣٩- ٣٤٢.

أمامهم ويقاتل بنفسه بكل شدة وبأس، وهذا ما دلت عليه الروايات ومنها: ((قال: رَسُولُ الله -صلى الله عليه وآله- لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ: «**لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**»))[1].

وكان قبل ذلك يقوم بعمليات الاستكشاف بنفسه، ليجمع المعلومات عن جيش العدو ويضع الخطط المناسبة لمواجهتهم، وقتالهم حتى النصر، فقد روي أنه (صلى الله عليه وآله) خرج مع رجل من أصحابه، وعندما كان يقوم بعملية الاستكشاف التقى بشيخ فسأله عن جيش الأعداء بكياسة عظيمة لأنه (صلى الله عليه وآله) سأله عن الجيشين حتى لا يعرفه زيادة في التكتم وحفاظا على المعلومات فلما سأله: قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا- للمكان الذي به جيش المدينة- وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا- للمكان الذي به جيش مكة. ولما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «نحن من ماء» ، ثم انصرف عنه، وبقي الشيخ يتفوه، ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟![2].

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت: ٣/ ١٥٠٩، وجاء بلفظ آخر: (لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُؤْذِنُهُ) مسند أحمد بن حنبل: ١٩/ ٣٨٩.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٦١٥- ٦١٦، والروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: ٥/ ٧٢- ٧٣، و سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد: ٤/ ٢٧، الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ت: ١٤٢٧هـ)، ط١، دار الهلال - بيروت: ١٨٩- ١٩٠.

كل هذه الأعمال كان يباشرها (صلى الله عليه وآله) بنفسه، إضافة إلى القيادة في المعركة التي كان فيها (صلى الله عليه وآله) يسير أمامهم وهو أقربهم للعدو فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه «**قال: لَقَدْ رَأَيْتَنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ الله (صلّى اللهُ عَلَيهِ آلهِ) وَهوَ أَقْرَبُنا إِلى العَدوِّ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَاسِ يَومَئِذٍ بأسًا**»[1].

هكذا كانت صورة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المعارك وخصوصا في معركة بدر التي كانت أولى المعارك مع جيش المشركين وجه لوجه، فقاتلهم بيده ضاربًا بسيفه متقدما على جيشه، وهذا من العوامل المهمة التي أدت إلى تحقق النصر، فقد كان (صلى الله عليه وآله) شديد البأس صابرا محتسبا حتى تحقق النصر على يده المباركة مع من قاتل معه.

معركة أحد (٣ هـ)[2]:

هي ثاني معارك المواجهة للمسلمين بعد هجرتهم، وأشدها عليهم، فقد بلغ فيها القتال ما بلغ، إذ قاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه المعركة بنفسه واضعا الخطة المناسبة لدحر المشركين لأنه (صلى الله عليه وآله) قد وضع خطة خاصة بها ولأمور منها:

١. اختيار مكانها قرب جبل أحد والتحصن به.

---

(١) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مسند ابن أبي شيبة): ٧/ ٣٥٤، مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٨١.

(٢) سيرة ابن إسحاق: ٣٢١، المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي – بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م: ١/ ١٩٩، السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٦٠.

٢. ومسك الأرض خلف جيش المسلمين منعة للالتفاف عليهم من قبل الأعداء.

٣. وأعطى أوامره بعدم ترك المواضع مهما حصل.

فهذه الأمور التي وضعها النبي (صلى الله عليه وآله) لهذه المعركة تتناسب مع حال المسلمين وعددهم مقارنة بالعدو، وقد درس رسول الله (صلى الله عليه وآله) ظروف هذه المعركة بكل تفاصيلها وشارك أهل بيته (عليهم السلام) وأصحابه الرأي ليوفر عوامل النصر، (وكان سبب غزوة أحد أن قريشا لما رجعت من بدر إلى مكة، وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر لأنه قُتِل منهم سبعون وأُسر منهم سبعون، فلما رجعوا إلى مكة، قال أبو سفيان: يا معشر قريش، لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم، فإن البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمد، ويشمت بنا محمد وأصحابه. فلما غزوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم أحد أذنوا لنسائهم بعد ذلك في البكاء والنوح)[1].

فقد أراد أبو سفيان من هذا أن تبقى نار الحقد والضغينة متوقدة في أفئدة قريش حتى يثأروا من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن ثم أخذ النساء معه في أحد وحضرن في المعركة وندبن القتلى وطالبن بالثأر، ليزيد في حقدهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وأصحابه،

(١) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، ط٣، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم - إيران، ١٤٠٤هـ: ١١٠ - ١١١، البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني (ت: ١١٠٧هـ)، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة - قم: ٦٧٩ - ٦٨٠.

وهذا ما حدث، ثم أن أبا سفيان حشد الحشود من حلفائهم، إذ (لما أرادوا أن يغزوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أحد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها، فجمعوا الجموع والسلاح وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل، وأخرجوا معهم النساء يذكرنهم ويحثنهم على حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأخرج أبو سفيان هند بنت عتبة، وخرجت معهم عمرة بنت علقمة الحارثية)[1].

أما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد أعلمه الله بفعل قريش، إذ (جمع أصحابه وأخبرهم أن الله قد أخبره أن قريشا قد تجمعت تريد المدينة، وحث أصحابه على الجهاد والخروج، فقال عبد الله بن أبي وقومه: يا رسول الله، لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها، فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح، فما أرادنا قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا، وما خرجنا إلى أعدائنا قط إلا كان لهم الظفر علينا، فقام سعد بن معاذ (رحمه الله) وغيره من الأوس، فقالوا: يا رسول الله، ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام، فكيف يطمعون فينا وأنت فينا؟! لا، حتى نخرج إليهم فنقاتلهم، فمن قتل منا كان شهيدا، ومن نجا منا كان قد جاهد في سبيل الله، فقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله، وخرج مع نفر من أصحابه يبتغون موضعا للقتال)[2].

واجتمع رأى الأصحاب على الخروج فخرج في ألف حتى إذا كان بين المدينة وأحد رجع أهل النفاق مثل عبد الله بن أبي وأضرابه وهم قريب

(١) تفسير القمي: ١١٠- ١١١، البرهان في تفسير القرآن: ٦٧٩- ٦٨٠.
(٢) المصدر نفسه:

من ثلث الناس، ثم التهب القتال بينهم وأنزل الله نصره على المسلمين حتى كشفوا العدو عن وجوههم ونهكوهم قتالًا وقلعوهم عن مقامهم، وحملت خيل المشركين على المسلمين فنضحتهم الرماة بالنبل ثلاث مرات، فانهزم المشركون فدخل المسلمون عسكرهم فانتهبوهم فاشتغل المسلمون بالغنيمة[١]، (فرأى ذلك الرماة فتركوا مكانهم ودخلوا العسكر فأبصر ذلك خالد بن الوليد ومن معه فحملوا على المسلمين في الخيل فمزقوهم وصرخ صارخ[٢] قتل محمد أخراكم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون وانهزمت طائفة منهم إلى جهة المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل وثبت نبي الله حين انكشفوا عنه وهو يدعوهم في أخراهم حتى رجع إليه بعضهم وهو عند المهراس في الشعب وتوجه النبي (صلى الله عليه وآله) يلتمس أصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه وكسروا رباعيته)[٣]، ودُمِّيَ (صلى الله عليه وآله) بالحجارة حتى أصابه ما أصاب ثم نصره الله تعالى بعلي والملائكة (عليهم السلام) حتى هزم العدو وقتلوا مخذولين[٤].

ويظهر مما سبق أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يقاتل في يوم أحد الا دفاعا عن نفسه كما ذكر بعضهم، ولم يكن كذلك بل إن رسول الله (صلى

(١) فتح الباري، ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان: ٧/ ٢٦٧، شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني (ت: ١٠٨١هـ)، تحقيق وتعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح : السيد علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ١٢/ ٤٤٧.

(٢) قيل: كان الصارخ هو الشيطان وكان يوم بلاء وتمحيص للمسلمين. ينظر: شرح أصول الكافي: ٤٤٧.

(٣) فتح الباري: ٧/ ٢٦٧.

(٤) شرح أصول الكافي: ٤٤٧.

الله عليه وآله) قاتل قتالا شديدا مع من كان معه وبالخصوص أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي كان نفسه التي تقاتل معه، ومن شدته (صلى الله عليه وآله) وبأسه لم يكن يقرب منه أحد من الأعداء بل رموه بالحجارة في محاولة لعرقلته في القتال حتى يستطيعوا منعه أو حتى تسنح لهم فرصة الهروب من قتاله. وما يدل على ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ**﴾[1]، فقد روي عن عكرمة مولى ابن عباس جاءت فاختة بنت غزوان امرأة عثمان بن عفان ورسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) يغسلان السلاح من الدماء فقالت ما فعل ابن عفان أما والله لا تجدونه الأم القوم فقال لها علي (عليه السلام) ألا إن عثمان فضح الذمار اليوم فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) مه وكان ممن ولى دبره يومئذ عثمان بن عفان وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان إخوان من الأنصار من بني زريق حتى بلغوا الجلعب فرجعوا بعد ذلك، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) لقد ذهبتم بها عريضة ثم تلى عليهم الآية[2]، وقد بالغ هؤلاء في الهزيمة يقول الآلوسي: (ولعل الاقتصار عليهم لأنهم بالغوا في الفرار ولم يرجعوا إلا بعد مضي وقت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أن منهم من لم يرجع إلا بعد ثلاث)[3].

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٥

(٢) ينظر: العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م: ٢/ ٧٧٢- ٧٧٣.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ: ٢/ ٣١٢.

ويتضح في هذه الرواية شدة القتال الذي حصل بعد هروب المسلمين وبقاء النبي (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) مع بعض الأصحاب يقاتلون، إذ نرى في قوله (يغسلان السلاح من الدماء) دلالة على قتاله (صلى الله عليه وآله) الشديد في المعركة حتى تلطخ سيفه بالدماء وصار يغسله منها، وهذا يبين بطلان ما ذكرت بعض الروايات من أنه لم يكن يقاتل، بل كان المسلمون يدافعون عنه ولا يخوض القتال بنفسه، وهذا نقيض ما ذكرنا، كذلك يناقض قول أمير المؤمنين (عليه السلام) من أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان في المعارك أقربهم إلى الأعداء.

وقد روي(عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله)، قَالَ: جُرِحَ وَجْهُ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله)، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَهُشِّمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) تَغْسِلُ الدَّمَ، وَكَانَ عَلِيٌّ (عليه السلام) يَسْكُبُ عَلَيْهِ الْمَاءَ بِالْمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ (عليها السلام) أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةَ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى إِذَا صَارَ رَمَادًا أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ)[1]. لذا كان جرح رسول الله (صلى الله عليه وآله) كبيرا لا ينقطع الدم منه وذكر في هذا أيضا أنه (لما جرح رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أحد أخذ شيئا فجعل ينشف به دمه وقال لو وقع منه شيء على الارض لنزل عليهم العذاب

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٤٠٥هـ: ٣/ ٢٦٠، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م: ٢/ ١٩٠.

من السماء ثم قال اللهمّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ... وكان (صلى الله عليه وآله) يأخذ قطرات الدم ويرمي بها إلى السماء ولم يقع شيء منها على الارض[١]، ويقول لو وقع شيء منها على الأرض لم ينبت عليها نبات ... ولما كسرت جبهته وانخضب وجهه ولحيته جعل سالم مولى ابي حذيفة يسلت الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم)[٢].

ومن خلال ما سبق نرى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد جاهد الأعداء بنفسه وقاتل بيده وضرب بسيفه وكيف لا وهو أشجع الخلق وأفضلهم، ولم يكن كما صُوِّر لنا من أنه يضع خيمته خلف العسكر ويعطي أوامره للجيوش أن تتقدم، بل كان على عكس ذلك يتقدم الجيش ويقاتل معهم جنبا إلى جنب، ولذلك فإن مقولة أمير المؤمنين (عليه السلام) في الحرب للجيش (اتبعوني) هي الطريقة نفسها التي كان يستعملها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في معاركه.

معركة الخندق (٥هـ):

من الغزوات الكبرى التي شارك فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان لأمير المؤمنين (عليه السلام) دور بارز وكبير في النصر على الأعداء، وكان من شأنها أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما أجلى بني النضير خرج نفر من اليهود فيهم حي بن أخطب النضري وهوذة بن قيس الوائلي وكنانة بن

(١) من هنا استمد الإمام الحسين (عليه السلام) أن دماءهم الزكية لا يجب أن تسقط على الأرض فكان يفعل كما يفعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو امتداد الدوحة المحمدية.

(٢) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت: ٩٦٦هـ)، دار صادر– بيروت: ١/ ٤٣٢.

الربيع النضري في نفر من بني النضير وبني وائل وحزبوا الأحزاب حتى قدموا على قريش مكة ودعوهم إلى حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ومن معه، فقالت لهم قريش: يا معشر اليهود! إنكم أهل الكتاب والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم، وأنتم أولى بالحق منه؛ فلما قالوا ذلك لقريش نشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأجمعوا لذلك واتعدوا له، ثم خرجوا حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأخبروهم أن قريشا قد تابعوهم على ذلك وأجمعوا معهم على ذلك. وخرجت قريش و قائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت، غطفان و قائدها عيينة ابن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وكان قائد أشجع مسعود بن رخيلة، فلما سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمرهم استشار المسلمين، فأشار عليه سلمان بضرب الخندق على المدينة، وهي أول غزوة غزاها سلمان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخندق على المدينة فيما بين المذاد إلى ناحية راتج)[1].

وقد شارك رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حفر الخندق مع أصحابه ويعمل معهم من دون أي تمييز فهو جندي في سبيل الله يدافع عن دينه وإعلاء كلمته بوجه أعداء الله، (قال البراء بن عازب رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب شعره وهو يرتجز

(١) ينظر: مغازي الواقدي: ٢/ ٤٤١- ٤٤٢، وينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، ط٣، الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٧هـ: ١/ ٢٥٤-٢٥٥.

برجز عبد الله بن رواحة وهو يقول:

اللهم لولا أنت ما أهدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الاقدام إن لاقينا

وإذا أراد الغزو وبدأ بالأهم فالأهم لقوله عز وجل ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ**﴾[1] فإذا استوت الجهاد في الخوف اجتهد وبدأ بأهمها عنده﴾[2].

وتمثل جهاد النبي (صلى الله عليه وآله) في الصبر على الأذى وتحمل التعب والمشاق، ومقارعة الجوع والعمل المتواصل في حفر الخندق على الرغم من الأذى الذي يلحق البدن نتيجة لذلك، فقد روي (عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال كنا مع النبي (صلى الله عليه وآله) في حفر الخندق إذ جاءته فاطمة ومعها كسرة خبز فدفعتها إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال النبي (صلى الله عليه وآله) ما هذه الكسرة قالت قرصا خبزتها للحسن والحسين (عليهما السلام) جئتك منه بهذه الكسرة فقال للنبي (صلى الله عليه وآله) أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث)[3].

ولم يقتصر جهاده (صلى الله عليه وآله) على القتال مع أصحابه بل

---

(١) سورة التوبة: ١٢٣.

(٢) المجموع، النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: ١٩/ ٢٧٨، وينظر: عوالي الئآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي (ت: ٨٨٠هـ)، تحقيق وتقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي والحاج آقا مجتبى العراقي، ط١، مطبعة سيد الشهداء، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م: ٢٩.

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م: ٢/ ٤٣.

شاركهم في كل مراحل الجهاد والمواقف التي مرّوا بها ومنها حفر الخندق، لأن مشاركته معهم تشكل حافزا لهم وتشد من أزرهم مما يحقق النصر لهم وهذه ميزة القائد الشجاع، إذ لو (شارك القائد جنوده فإنهم لا شك يخرجون أقصى طاقاتهم، وليس نتيجة خوفهم من القائد لا، وإنما نتيجة شعورهم بقضية مشتركة مهمة، نتيجة إحساسهم أن الموضوع هذا موضوعهم جميعًا، فالرسول (صلى الله عليه وآله) وهو النبي المطاع والحاكم لدولة المدينة والقائد الأعلى لجيش المسلمين ينزل بنفسه ليحفر مع المسلمين، لا يشرف على الحفر فقط! وإنما يقوم بالحفر بنفسه، فيضرب بالمعول بنفسه، ويأخذ التراب بنفسه، وكشف عن بطنه حتى لا تعوقه الملابس عن الحركة، والصحابة لا يرون بطنه من التراب الذي غطاه)[1]، فمن (يقرأ السيرة النبوية الشريفة يرى أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان في هذه الغزوة بصفة خاصة، وفي غيرها بصفة عامة القدوة الحسنة الطيبة في كل أقواله وأفعاله وأحواله (صلى الله عليه وآله)، لقد شارك أصحابه في حفر الخندق، وفي الضرب بالفأس. وفي حمل التراب بل وشاركهم في أراجيزهم وأناشيدهم، وهم يقومون بهذا العمل الشاق المتعب، وشاركهم في تحمل آلام الجوع، وآلام السهر.. بل كان صلّى الله عليه [وآله] وسلّم هو القائد الحازم الرحيم، الذي يلجأ إليه أصحابه عند ما يعجزون عن إزالة عقبة صادفتهم خلال حفرهم للخندق)[2].

وهذه الأعمال التي يقوم بها (صلى الله عليه وآله) في مجاهدة الأعداء بكل

(١) السيرة النبوية، راغب الحنفي راغب السرجاني، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http: / /www.islamweb.net (سلسة محاضرات مكتوبة).

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م- ١٩٩٨م: ١١/ ١٩٣.

الطرق التي أوتي بها، فلم يكن جهاده بالسيف فقط، بل في الكلمة والعمل والقتال ومشاركة أصحابه في كل شيء فرحهم وحزنهم، همومهم وآلامهم، فلا يميز نفسه عنهم بل هو جندي يقاتل ويعمل في سبيل الله لإعلاء كلمته وتبليغ دينه، وهذه من سمات القائد الناجح في قيادة الأمة إلى برِّ الأمان.

معركة حنين: (٨ هـ)

من أشد المعارك التي خاضها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، رغم العدد والعدة والقوة التي في جيش المسلمين، لكنها لم تكن ذات فائدة في مواجهة الأعداء، إذ (لَمّا فَتَحَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) مَكّةَ مَشَتْ أَشْرَافُ هَوَازِنَ بَعْضُهَا إلَى بَعْضٍ، وَثَقِيفٌ بَعْضُهَا إلَى بَعْضٍ، وَحَشَدُوا وَبَغَوْا وَأَظْهَرُوا أَنْ قَالُوا: وَاَللهِ مَا لَاقَى مُحَمّدٌ قَوْمًا يُحْسِنُونَ الْقِتَالَ، فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ فَسِيرُوا إلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَسِيرَ إلَيْكُمْ. فَأَجْمَعَتْ هَوَازِنُ أَمْرَهَا)[1].

ثم ساروا إلى قتال رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى وصلوا وادي حنين (وعبّأ مالك بن عوف[2] أصحابه في الليل بوادي حنين، وعبأ له رسول الله (صلى الله عليه وآله) في السّحر، ووضع الألوية والرايات في أهلها...وكانت رايات المهاجرين سودا وألويتهم بيضاء، ورايات الأنصار خضرا وحمرا، وانحدر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأصحابه في وادي

(١) المغازي، الواقدي: ٣/ ٨٨٥، وينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٤٣٧.

(٢) مَالِكُ بْنُ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ يَرْبُوعَ بْنِ وَائِلَةَ بْنِ دُهَمانَ بْنِ نَصِرْ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ. وَهُوَ الَّذِي قَادَ هَوَازِنَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَمَّا انْهَزَمُوا هَرَبَ مَالِكٌ. طبقات ابن سعد (الجزء المتمم) تحقيق: د. عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق - الطائف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ: ٦٢٩.

حنين. وهو على تعبئته وقد ركب بغلته البيضاء دلدل، **ولبس درعين والمغفر والبيضة**، وحضّ على القتال، وبشر بالفتح إن صدقوا وصبروا، فاستقبلتهم هوازن في غبش الصّبح بكثرة لم يروا مثلها قط، وحملوا على المسلمين حملة واحدة، فانكشف أول الخيل خيل بني سليم مولّية، فولوا وتبعهم أهل مكة، وتبعهم الناس منهزمين ما يلوون على شيء)[1].

يظهر أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد تجهز بجهاز الحرب كأي مقاتل من جنده، فقد لبس درعين والمغفر والبيضة، لمواجهة العدو بنفسه، فلو كان لا يقاتل ولا يضرب بسيفه، لأنه كما ادعى بعضهم لم يقتل إلا شخصا واحدا في أُحُد، دفاعا عن نفسه والسبب يرجع إلى أنه (صلى الله عليه وآله) بعث رحمة للعالمين فلا يقتل بيده[2]، لما كان تجهز بهذه الصورة، فهذا التجهيز وهذه العدة تدل على أنه (صلى الله عليه وآله) في مقدمة الجيش ولبس درعين لأنه (صلى الله عليه وآله) سيدخل في داخل صفوف العدو ويقاتلهم، ولا يجلس في الخلف تحت خيمة القيادة يدعو ربه لينصره، مثلما صوره لنا أرباب التاريخ، فلو كان ذلك لأيده الله بجنوده ونصره من دون قتال.

ولما انهزم المسلمون وتركوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وثلة قليلة من أهل بيته معه لا يتجاوزون العشرة أشخاص، منهم أمير المؤمنين (عليه السلام) والعباس بن عبد المطلب وابنه (رضي الله عنهم)، انتفض القائد الشجاع المؤيد مع من كان معه لمواجهة هذا العدو الكبير، (فَأَشْرَفَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) كَالْمُتَطَاوِلِ فِي رَكَائِبِهِ، فَنَظَرَ إِلَى قِتَالِهِمْ فَقَالَ: «**الْآنَ**

(١) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: ٢/ ١٢.

(٢) ينظر: سيرة ابن إسحاق: ٣٣١، والمغازي، الواقدي: ١/ ٢٥٠، سيرة ابن هشام : ٢/ ٨٤.

حَمِيَ الْوَطِيسُ!» ثُمّ أَخَذَ بِيَدِهِ مِنْ الْحَصَى فَرَمَاهُمْ، ثُمّ قال: انهزموا، ورب الكعبة!)[١]. وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) يَوْمَئِذٍ أَشَدَّ النَّاسِ قِتَالاً بَيْنَ يَدَيْهِ[٢] وقد هزم الأعداء قبل أن يرجع المسلمون إلى أرض المعركة، بل عندما رجعوا وجدوا أسارى المشركين عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إذ روى بعضهم قوله: «**فَوَالله مَا رَاجَعَهُ النَّاسُ إِلَّا وَالْأُسَارَى عِنْدَ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) ملقون، فَقَتَلَ الله منهم من قتل، وَانْهَزَمَ مِنْهُمْ مَنِ انْهَزَمَ، وَأَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ أَمْوَالَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ**»[٣].

وتظهر شجاعته (صلى الله عليه وآله) في هذه المعركة من خلال ما أبداه من قتال شديد فيها، فلمْ يقاتل على فَرس بل على بغلة، وهي في المعارك أقل كفاءة من الفرس ذلك لأنها بطيئة الحركة، إضافة إلى كونها أقل ارتفاعا من الفَرس، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكن في حسابه الهزيمة حتى يتخذ فرسا ليهرب عليها، بل إنه ثابت لا ينهزم مهما حصل، وهذا يمثل قمة الشجاعة والفروسية، لذا واجه (صلى الله عليه وآله) الأعداء بنفسه وقاتلهم مع من معه على قلتهم حتى انتصر عليهم وأسر منهم كثيرا، ثم بعد ذلك رجع بعض المسلمين إليه، وقد اتخذ أمير المؤمنين (عليه السلام)

(١) المغازي، الواقدي: ٣/ ٨٩٩، وينظر: سيرة ابن هشام: ٢/ ٤٤٥، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر البيهقي: ٥/ ١٢٩.

(٢) مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون للتراث - دمشق، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م: ٦/ ٢٨٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ: ٤/ ١١٢.

هذه الطريقة في القتال عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتراه لا يمتطي فرسا في المعارك بل إن شاء أن يذهب راكبا فيتخذ بغلة كما يفعل رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولعل قول أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي وصف فيه شجاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجهاده مأخوذ بعضه من حادثة هذه المعركة وقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيها، فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) «**كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ الله(صلى الله عليه وآله)، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ**»[1]، وقد قيل في شرح هذه المقولة أن (معنى ذلك أنه إذا عظم الخوف من العدو واشتد عضاض الحرب فزع المسلمون [أي: لجأوا] إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه، فينزل الله عليهم النصر به ويأمنون مما كانوا يخافونه بمكانه وقوله (عليه السلام): إذا احمر البأس: كناية عن اشتداد الأمر. وقد قيل في ذلك أقوال أحسنها أنه شبه حمى الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها، ومما يقوي ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وآله) وقد رأى مجتلد الناس يوم حنين وهي حرب هوازن «حمي الوطيس»، فالوطيس مستوقد النار، فشبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما استحر من جلاد القوم باحتدام النار وشدة التهابها)[2].

ويشير هذا إلى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان الدرع الحصين

(١) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ٦٨٢.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، مطبعة الخيام – قم، ١٤٠٦هـ: ٣/ ٣٦١- ٣٦٢، وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٩/ ١١٦.

الذي يتقي به المسلمون الأعداء، وكان أقرب الناس إلى العدو وهي إشارة واضحة إلى قتاله (صلى الله عليه وآله) في الميدان إلى جانب أصحابه، فكيف يكون أقربهم إلى العدو وهو لا يقاتل؟!، والواضح أنه كان يقاتل قتالا شديدا، قل نظيره، حتى وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو أشجع الناس بعده بهذا الوصف، فشجاعة أمير المؤمنين (عليه السلام) معروفة وهو حامل لواءه، ومع هذا يقول كنا نتقي برسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان أقربنا إلى العدو. من هنا يظهر لنا زيف ما نقل عن أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانت تنصب له خيمة خلف الجيش وكان دوره توجيهيًّا فقط ويقاتل بالدعاء!.

وفي هذه المعركة أنزل الله سكينته على رسوله (صلى الله عليه وآله) وعلى الذين معه، إذ قال تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**﴾[1].

وهذه الرعاية الربانية والمد الإلهي لرسوله (صلى الله عليه وآله) بإنزال السكينة عليه وعلى الذين ثبتوا معه، ومدِّهم بجنود من الملائكة، وبثِّ الرعب في قلوب الذين كفروا، أدت إلى تحقق النصر وإلحاق الهزيمة بالكافرين على يد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن ثبت معه من أهل بيته (عليهم السلام).

---

(١) سورة التوبة: ٢٥- ٢٦

فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفر عنه الكماة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة سواه، قال أنس: فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) راجعا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عرى، في عنقه السيف، وهو يقول: لم تراعوا، لم تراعوا[1].

(وكان (صلى الله عليه وآله) من أشدّ النّاس بأسا، وكان الشّجاع هو الّذي يقرب منه في الحرب؛ لقربه من العدوّ، قال عمران بن حصين: ما لقي النّبيّ (صلى الله عليه وآله) كتيبة إلّا كان أوّل من يضرب، وقالوا: وكان قويّ البطش، ولمّا غشيه المشركون.. نزل عن بغلته، فجعل يقول: «أنا النّبيّ لا كذب، أنا ابن عبد المطّلب»، فما رئي يومئذ أحد أشدّ منه، وسأل رجل البراء: أفررتم يوم حنين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟! قال: نعم، لكنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يفرّ، كان هوازن رماة، وإنّا لمّا حملنا عليهم انكشفوا؛ فأكببنا على الغنائم، فاستقبلتنا بالسّهام، ثمّ قال: ولقد رأيته على بغلته البيضاء...وهو يقول: «أنا النّبيّ لا كذب، أنا ابن عبد المطّلب» ، فما رئي يومئذ أحد كان أشدّ منه)[2].

وأراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يرزق الشهادة في المعركة فقد كان

(١) ينظر: الرحيق المختوم: ٤٤٥.

(٢) وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوسف بن إسماعيل النَّبْهَاني (ت: ١٣٥٠هـ)، ط٢، دار المنهاج، جدة، ١٤٢٥هـ: ٢٤٩- ٢٥١.

يود أن يقتل في سبيل الله ثم يحيى ثم يقتل فقد روي عنه أنه قال: (تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ الله، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ الله أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ الله فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ)[1].

(١) مسند إسحاق بن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه (ت: ٢٣٨هـ)، تحقيق: د. عبد الغفور البلوشي، ط١، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م: ١/ ٢٢٥، صحيح مسلم: ٣/ ١٤٩٥، مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠٩م: ١٧/ ١٧٤.

الفصل الثالث

جهاد النفس

توطئة:

جهاد النفس الذي وصفه النبي الأكرم (صل الله علـه وآلـه) بأعظم الجهاد، لأنه محاربة النفس وقد وصف القرآن الكريم النفس بأنها أمّارة بالسوء حيث قال: ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي**﴾ وخير من مثل هذا الجهاد وطبقه رسولا الأكرم، وخير من مثل هذا الجهاد رسولنا الأكرم (صلى الله عليه وآله) في حياته العملية، فقد كان ولا زال خير مثال وقدوة يقتدى به على ما يمر به المسلم من مصاعب الحياة وآلامها حتى قال (صلى الله عليه وآله): ((ما أوذي نبي مثل ما أوذيت))[1]، كيف لا وقد رموه بالسحر والجنون وهو خاتم النبيّين وأفضل الرّسل والعقل الكلّ، وما لقى رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) من قومه من الأذى أكثر من أن يحصى وأشهر من أن يذكر[2].

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، دار السعادة - مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م: ٦/ ٣٣٣، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤٢.

(٢) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي: ١٧/ ٣٤٨.

المبحث الأول
الجهاد الأكبر والقدوة الحسنة

أهمية الجهاد الأكبر:

تبرز أهمية جهاد النفس في ما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ أنه (صلى الله عليه وآله) (بعث سرية، فلما رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس ثم قال (صلى الله عليه وآله): «**أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه**»[1].

وقوله (صلى الله عليه وآله): «**أفضل الجهاد، جهاد النفس عن الهوى، وفطامها من لذات الدنيا**»[2]. وقوله (صلى الله عليه وآله): « جهاد النفس

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مؤسسة البعثة – قم، ١٤١٧هـ: ٥٥٣، الكافي: ٥/ ١٢، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٤٢٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، القاضي ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي (ت: ٥٥٠هـ)، ترتيب وتدقيق: عبد الحسين ذهيني، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م: ١١٣، عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي (ت: ق٦)، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر: ١٢٢.

مهر الجنة»[١]، وقوله (صلى الله عليه وآله): «**إن المجاهد نفسه على طاعة الله وعن معاصيه عند الله سبحانه بمنزلة شهيد**»[٢]

وتبرز أهمية مجاهدة النفس والأجر الذي يناله المؤمن منه ما جاء في الحديث القدسي «**يموت الناس مرة، ويموت من جاهد نفسه وهواه في كل يوم سبعين مرة**»[٣].

~~وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في أهمية جهاد النفس ومنزلته من الدين لدى المرء قوله: «أول ما تفقدون من دينكم جهاد أنفسكم. وقد~~ يكون جهاد النفس هو منعها الشهوات المباحة توفيرًا لها في الآخرة؛ لئلا تدخل في معنى قوله: ﴿**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا**﴾[٤]، وعلى هذا جرى سلف الأمّة[٥].

وروي عنه (عليه السلام) في وصيته عند استشهاده قوله: «**والله الله في الجهاد للأنفس فهي أعدى العدو، فإنه قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ**

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٨٨، عيون الحكم والمواعظ: ٢٢١، مستدر الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط٢، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م: ١١/ ١٣٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ١٣٦، ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، ط١، دار الحيدث للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ: ٤٥٢.

(٣) في ظلال نهج البلاغة: ٤/ ٢٢.

(٤) سورة الأحقاف: ٢٠.

(٥) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م: ١٠/ ٢١٠-٢١١.

لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[١]، وإن أول المعاصي تصديق النفس والركون إلى الهوى»[٢]، وقد جعل الأئمة الأطهار جهاد النفس من الأمور التي يوصون بها أتباعهم وحثّهم عليه فقد روي عن الباقر (عليه السلام) أنه قال في وصيته لجابر الجعفي (رضوان الله عليه): (إن المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها، فمرة يقيم أودها ويخالف هواها في محبة الله، ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها، فينعشه الله فينتعش ويقيل الله عثرته فيتذكر، ويفزع إلى التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف، ولا فضيلة كالجهاد ولا جهاد كمجاهدة الهوى)[٣].

أما قوله (صلى الله عليه وآله) (مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر)[٤]، فيحتمل معنيين (أحدهما: أنّ الجهاد الظاهر ليس كلّ غرضه الذاتيّ هو جهاد النفس، بل ربّما كان من أعظم أغراضه الذاتيّة هو قهر العدوّ الظاهر ليستقيم الناس على الدين الحقّ، وينتظم أمرهم في سلوكه. ولذلك دخل فيه من أراد منه إلّا ذلك كالمؤلّفة قلوبهم وإن كانوا كفّارا. وذلك بخلاف سائر العبادات إذ غرضها ليس إلّا جهاد النفس ولا شكّ أنّه هو الجهاد الأكبر: أمّا أوّلا فباعتبار مضرّة العدّوين فإنّ مضرّة العدّو

(١) سورة يوسف: ٥٣.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٥٥٣، الكافي: ٥/ ١٢، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٤٢٠. محاسبة النفس، الشيخ إبراهيم الكفعمي، (ت: ٩٠٥هـ)، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، ط١، المطبعة نمونه – قم، ١٤١٣هـ: ١٠.

(٣) محاسبة النفس: ١٠.

(٤) الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، محمد الغروي، ط٣، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٥هـ: ٥٢.

الظاهر مضرّة دنياويّة فانية، ومضرّة الشيطان مضرّة أخرويّة باقية. ومن كانت مضرّته أعظم كان جهاده أكبر وأهمّ، وأمّا ثانيا فلأنّ مجاهدة الشيطان مجاهدة عدوّ لازم ومع ذلك فلا يزال مخادعا غرّارا لا ينال غرضه إلَّا بالخروج في ذيّ الناصحين الأصدقاء، ولا شكّ أنّ الاحتراز من مثل هذا العدّو أصعب، وجهاده أكبر من جهاد عدوّ مظهر لعداوته يقاتله الإنسان في عمره مرّة أو مرّتين. فحسن لذلك تخصيص الجهاد بالأصغر، ومجاهدة النفس بالأكبر)[1].

الآخر: وإن كان (الغرض من الجهاد الأصغر هو جهاد النفس إلَّا أنّ جهادها في حال جهاد العدوّ الظاهر قد يكون أسهل وذلك أنّ القوى البدنيّة كالغضب والشهوة يثوران عند مناجزة العدّو طلبا لدفعه، ويصيران مطيعين للنفس الإنسانيّة فيما تراه وتأمر به فلا يكون عليها كثير كلفة في تطويع تلك القوى. بخلاف سائر العبادات فإنّ طباع تلك القوى معاكسة فيها لرأى النفس. فلذلك كان جهادها في سائر العبادات أصعب وأكبر من جهادها في حال الحرب)[2].

القدوة الحسنة:

جاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتأسي به، والسير على هديه، وكذلك وصف مكانة الدنيا عنده (صلى الله عليه وآله) واحتقاره لها، قوله (عليه السلام) «**فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى ـ وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصُّ لأَثَرِهِ ـ قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفًا، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا، عُرِضَتْ**

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٢/ ٣٣- ٣٤.

(٢) المصدر نفسه.

عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلاَّ حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهُ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لله، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ الله»[1].

وقوله (عليه السلام): «**فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلاَّ فَلاَ يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللهَ عزّ وجلّ جَعَلَ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وآله) عَلَمًا لِلسَّاعَةِ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ. خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصًا، وَوَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيمًا، لَمْ يَضَعْ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ الله عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا نَتَّبِعُهُ، وَقَائِدًا نَطَأُ عَقِبَهُ! وَالله لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلاَ تَنْبِذُهَا؟ فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى**»[2].

والقارئ لهذه النصوص يرى أمورا كثيرة اتصف بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكلها مظاهر تدل على جهاد نفسه (صلى الله عليه وآله) ومنها:

أولا: الأسوة والتّأسي:

هي الاقتداء والاتباع جاء في اللغة (فلانٌ يأتسي بفلان، أي: يرى أن له فيه أسوة إذا اقتدى به وكان في مثل حاله، والجمع: الأُسَى، ويقال: إسوة وإسى، وفلان يأتسى لفُلان، أي: يَرصى لنفسه ما رضيه)[3]، وقيل (الأُسْوَة والإِسْوَةُ كالقُدوة والقِدوة، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع

(١) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ٣٠١.

(٢) المصدر نفسه: ٣٠٣.

(٣) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ٧/ ٣٣٣.

غيره إن حسنا وإن قبيحا، وإن سارّا وإن ضارّا)[١]، وجاء (الْأُسْوَةُ الْقُدْوَةُ. وَالْأُسْوَةُ مَا يُتَأَسَّى بِهِ، أَيْ يُتَعَزَّى بِهِ. فَيُقْتَدَى بِهِ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَيُتَعَزَّى بِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ)[٢]، فيدل ما سبق على أن الأسوة هو الشخص المقتدى به والمُتَّبَع في جميع أحواله، ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) نعم القدوة التي يقتدى بها ونعم الأسوة التي يُتأسَّى به، إذ كان (صلى الله عليه وآله) مثالا لكل شيء حسن، وكيف لا وهو خير خلق الله أجمعين، لذا نرى الإمام (عليه السلام) يوصي بالتأسِّي برسول الله (صلى الله عليه وآله) واتباع أثره، وقد كان الإمام (عليه السلام) نعم المتأسي به والمقتفي أثره والمقتدي به، فهو نفسه.

وأخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا المعنى من كتاب الله الكريم، فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأسوة الحسنة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾[٣].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ١٤١٢هـ: ٧٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفي، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م: ١٤/ ١٥٥.

(٣) سورة الأحزاب: ٢١. وكذلك ورد لفظ الأسوة في القرآن الكريم مرتبطا بأنبياء الله والصالحين من أتباعهم في قوله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ**

وهذه الآية نزلت في معركة الأحزاب (فَالَّذِينَ ائْتَسَوْا بِالرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ ثَبَتَ لَهُمْ أَنَّهُمْ مِمَّنْ يَرْجُونَ الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا. وَفِيهِ تَعْرِيضٌ بِفَرِيقٍ مِنَ الَّذِينَ صَدَّهُمْ عَنِ الِائْتِسَاءِ بِهِ مِمَّنْ كَانُوا مُنَافِقِينَ أَوْ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مِنَ الشَّكِّ فِي الدِّينِ.

وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى فَضْلِ الِاقْتِدَاءِ بِالنَّبِيءِ (صلى الله عليه وآله) وَأَنَّهُ الْإِسْوَةُ الْحَسَنَةُ لَا مَحَالَةَ وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهَا تَفْصِيلٌ وَتَحْدِيدٌ لِمَرَاتِبِ الِائْتِسَاءِ وَالْوَاجِبِ مِنْهُ وَالْمُسْتَحَبِّ وَتَفْصِيلُهُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ. وَاصْطِلَاحُ أَهْلِ الْأُصُولِ عَلَى جَعْلِ التَّأَسِّي لَقَبًا لِاتِّبَاعِ الرَّسُولِ فِي أَعْمَالِهِ الَّتِي لَمْ يُطَالِبْ بِهَا الْأُمَّةَ عَلَى وَجْهِ التَّشْرِيعِ)[1] وقيل: المراد في الأسوة برسول الله (صلى الله عليه وآله)، أي: فِي جُوعِ النَّبِي (صلى الله عليه وآله)[2].

وقد ذهب في بعضهم تفسير الأسوة إلى[3]: أنه يحتمل أن يكون المراد بالأسوة القدوة، أي: يلزمك التأسي به في الموت، فلأي شيء تجزع، فإنك بعد الموت تكون مع ابنك. أو ينبغي لك مع علمك بذلك أن تصلح أحوال نفسك، ولا تحزن على فقد غيرك.

لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ الله مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ سورة الممتحنة: ٤، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ الله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ سورة الممتحنة: ٦.

(١) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ: ٢١/ ٣٠٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١/ ٣٠٣.

(٣) ينظر: ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، العلامة المجلسي(ت: ١١١١هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مطبعة الخيام – قم، ١٤٠٦هـ: ٣/ ٣٢١.

وقد يكون المراد بالأسوة ما يأتسي به الحزين، أي: ينبغي أن يحصل لك بسبب مصيبته وتذكرها تأس وتعز عن كل مصيبة، فإن تذكر المصائب العظام يهون صغارها. كما روي إذا أصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقد عمد أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد ذكره للأسوة برسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى ذكر تفاصيل حياته (صلى الله عليه وآله) لأن (الأسوة الحسنة به (صلى الله عليه وآله) لا تكون إلَّا بمعرفة أخباره وطريقة حياته وتاريخ تصرفاته. فإذا حرمت القصة انسد هذا الباب كله وتعذرت هذه المعرفة أن يتعين النقل والتعريف بذلك جيلا بعد جيل لكي يكون للمسلمين أسوة حسنة به (صلى الله عليه وآله)، فيكون هذا النقل مستحبا لأنه مقدمة لمستحب أو واجبا إذا كان مقدمة لواجب)[1].

فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعطي درسا لعامة الناس في طريقة حياته لأنه الأسوة الحسنة كما وصفه القرآن الكريم ومن ثم ذكر ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام).

ثانيًا: الدنيا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله):

عاش رسول الله (صلى الله عليه وآله) حياته الكريمة بعيدا عن ترف العيش وحب الشهوات، إذ كانت حياته مثالا للعيش البسيط والتواضع، وقد وصف لنا ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «**قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَارًا، وَبَسَطَهَا**

(١) ما وراء الفقه، السيد محمد الصدر (ت:١٤٢١هـ)، ط٣، مطبعة قلم، الناشر: دار المحبين للطباعة والنشر، إيران- قم، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م: ١٠/ ١٢٩- ١٣٠.

لِغَيْرِهِ احْتِقَارًا، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَامًا. بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا، وَنَصَحَ لأُمَّتِهِ مُنْذِرًا، وَدَعاَ إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا»[1].

يظهر من قول أمير المؤمنين (عليه السلام) نظرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) للدنيا، وإعراضه عنها ومات ذكرها في قبله، وقد ذكر البحراني في شرح هذا النص قوله: (فتحقيره للدنيا وتصغيرها وتهوينها إشارة إلى ما كان يجذب الخلق به عنها من ذكر مذامّها وتعديد معايبها، وإهوانه بها إشارة إلى زهده فيها، وعلمه بإزواء الله إيّاها عنه اختيارا إشارة إلى أنّ زهده فيها كان عن علم منه باختيار الله له ذلك وتسبّب أسبابه وهو وجه مصلحته ليستعدّ نفسه بذلك لكمال النبوّة والقيام بأعباء الخلافة الأرضيّة وبسطها لغيره احتقارا لها، وقد عرفت معنى الاختيار من الله لخلقه غير مرّة. فكان إعراضه عنها بقلبه إماتة ذكرها عن نفسه، ومحبّته لأن تغيب زينتها عن عينه لئلَّا يتّخذ منها رياشا ولا يرجو فيها مقاما جذبا للعناية الإلهيّة له عن الالتفات إلى الالتقاط إلى الكمالات المعلومة له، وعن أن ينحطَّ لمحبّتها عن مقامه الَّذي قضت العناية الإلهيّة بنظام العالم بسببه. ثمّ أعقب ذلك بذكر ثلاثة أحوال هي ثمرة النبوّة الَّتي هي ثمرة الزهد المشار إليه، وهي تبليغ رسالة ربّه إعذارا إلى خلقه أن يقولوا يوم القيامة: إنّا كنّا عن هذا غافلين، والنصح لهم إنذارا بالعذاب الأليم في عاقبة الإعراض عن الله، ودعائه إلى الجنّة مبشّرا لمن سلك سبيل الله ونهجه المستقيم بما أعدّ له فيها من النعيم

(١) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ٢١٥.

المقيم)[١].

وجاء في موضع آخر قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذكر حال الدنيا بالنسبة لرسول الله (صلى الله عليه وآله): «**قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفًا، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلاَّ حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهُ، وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لله، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ الله**»[٢].

جاء في هذا النص وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) لطريقة عيش رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والهيأة التي كان عليها، ففي قوله: (قضم الدّنيا قضما) استئناف بيانيّ، فإنّه لمّا ذكر أنّ أحبّ العباد إلى الله من اقتصّ أثر النّبيّ (صلى الله عليه وآله)، وكان ذلك مظنّة لأن يسأل عن الأثر الذي يقتصّ أردف بهذا الكلام وما يتلوه جوابا لهذا السّؤال المتوهّم، وتفصيلا لما فيه الأسوة، وبه يكون الاقتصاص، وأراد بقضمه اقتصاره (صلى الله عليه وآله) في الدّنيا على قدر الضّرورة إذ القضم يقابل الخضم والأوّل أكل الشيء اليابس بأطراف الأسنان، والثاني الأكل بالفم كلّه للأشياء الرّطبة كما قال (عليه السّلام) في وصف حال بني اميّة في الخطبة الشقشقيّة: يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الرّبيع)[٣].

أما قوله (ولم يعرها طرفا، أهضم أهل الدّنيا كشحا وأخمصهم بطنا)

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٣/ ٧١- ٧٢.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ٣٠١.

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ٩/ ٣٧٣.

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينظر إلى الدنيا على أنها دار ممر لا دار مقر، وإن الحلاوة فيها مرارة في الآخرة، إذ روي عن الصادق (عليه السلام) قال: دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على فاطمة (عليها السلام) وعليها كساء من ثلة[١] الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أبصرها، فقال: يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله عليّ: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾[٢])[٣]، ويبين لنا هذا الحديث الحياة البسيطة والمتواضعة التي كان يعيشها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأنه كان يتحمل مرارة الدنيا وما فيها من عناء لينال حلاوة الآخرة ونعميها، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكن يولي أي أهمية للدنيا، فتراه ابتعد عن ملذاتها، وقد ذكر الخوئي في شرح هذه العبارة أنه (لم يعطها نظرة على وجه العارية فكيف بأن يجعلها مطمح نظره، وهو كناية عن عدم التفاته إليها وأخمصهم خاصرة وبطنا، وهو كناية عن كونه أشدّهم جوعا وأقلّهم شبعا كما روى أنّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا اشتدّ جوعه كان يربط على بطنه حجرا ويسميّه المشبع مع كونه مالكا لقطعة واسعة من الدّنيا)[٤].

(١) الثلة: الصوف، غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلّام البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م: ٢/ ٢٧٧، وغريب الحديث، بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني - بغداد، ١٣٩٧هـ: ١/ ٤٦١.

(٢) سورة الضحى: ٥.

(٣) مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، ط٦، منشورات الشريف الرضي، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م: ١١٧.

(٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ٩/ ٣٧٣- ٣٧٤.

عاش رسول الله (صلى الله عليه وآله) زاهدا عن ملذات الدنيا، فتراه يأكل ما يتقوى به على عمل يومه، فلا يجلس على خوان، ولا يأكل أكلا طريا، ترويضا لنفسه ومجاهدة لها في كسرها عن شهوات الدنيا فقد جاء في الأثر (لم يأكل النبي (صلى الله عليه وآله) على خوان حتى مات، وما أكل خبزًا مرققًا حتى مات)[١]. وروي أيضًا (جاءت فاطمة صلوات الله وسلامه عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: ما هذه الكسرة قالت: قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك منه بهذه الكسرة، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أما أنّه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيّام)[٢].

ولم يكن ذلك عن قلة أو ضعف أو حاجة بل إن كنوز الأرض عرضت عليه (صلى الله عليه وآله) فأبى ذلك لأن الدنيا دار لا بقاء فيها فقد روي (عَنْ أَبِي عَبْدِ الله (عليه السلام) قَالَ خَرَجَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) وهُوَ مَحْزُونٌ فَأَتَاه مَلَكٌ ومَعَه مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَذِه مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ الأَرْضِ يَقُولُ لَكَ رَبُّكَ افْتَحْ وخُذْ مِنْهَا مَا شِئْتَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُنْقَصَ شَيْئًا عِنْدِي فَقَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَه ولَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَه فَقَالَ الْمَلَكُ والَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَقَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ مَلَكٍ يَقُولُه فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ حِينَ أُعْطِيتُ الْمَفَاتِيحَ)[٣].

(١) صحيح البخاري: ٨/ ٩٦، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٤٥٦.
(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ٩/ ٣٧٤.
(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ١٢٩.

المبحث الثاني

مظاهر جهاد النفس في حياته (صلى اللّه عليه آله)

ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وصفه لمظاهر جهاد النفس عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مواضع عدة منها قوله:

(وَلَقَدْ كَانَ (صلى الله عليه وآله) يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: «يَا فُلاَنَةُ ـ لإِحْدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا».

فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، وَلاَ يَعْتَقِدَهَا قَرَارًا، وَلاَ يَرْجُو فِيهَا مُقَامًا، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ. وَكَذلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ الله(صلى الله عليه وآله) مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا: إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ.

فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ: أَأَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّدًا(عليه السلام) بِذلِكَ أَمْ أَهَانَهُ! فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ - وَالله الْعَظِيمِ- وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ

أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ)[1].

ويظهر من خلال النص مظاهر الجهاد الأكبر عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومنها:

أولا: زهده وتواضعه (صلى الله عليه وآله):

لقد نقلت لنا الآيات الشريفة والروايات المعتبرة كثيرا من الأمور التي تبين لنا زهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتواضعه، وتبين لنا الحالة التي كان يعيشها (صلى الله عليه وآله)، فقد عاش حياة كريمة بسيطة لا تكلف فيها، حتى كان من يفد عليه لا يميزه عن غيره من الجالسين معه إلا بهيبته ونوره المتجلي بينهم، أما هيأته فلم يكن يختلف عمّن حوله، وقد بين لنا أمير المؤمنين (عليه السلام) ذلك في حديثه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتواضعه، واصفًا تلك الحالة من التواضع والزهد بقوله: «**وَلَقَدْ كَانَ(صلى الله عليه وآله) يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بَيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: «يَا فُلاَنَةُ لأَحْدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا**»[2].

والناظر في هذا النص يجد مجموعة من الأعمال التي كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقوم بها تدل على صفتي الزهد والتواضع التي مارسها في حياته، ومنها:

(١) نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار: ٣٠١- ٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٠١- ٣٠٢.

١ـ الأكل على الأرض:

من مظاهر التواضع والبساطة أن يأكل الإنسان على الأرض، فالإنسان بطبيعته يميل إلى التظاهر بالعلو والرفعة، وهذا ما نجده عندما يأتي ضيف تجد صاحب الدار يقدم له كل ما بوسعه ويحاول أن لا يجعله يأكل على الأرض احتراما وتعظيما لمقامه، وقد جرت العادة أن الزعماء والملوك عندما يأكلون توضع لهم الموائد ذات الأطباق والكؤوس المذهبة والمجالس الفخمة التي تزدان بأنواع الزينة المختلفة، وهذا ما يدل على جبروتهم وطغيانهم، والأمر مختلف عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعلى الرغم من أنه يملك ما يملك من الأموال وهو الحاكم والآمر الناهي في كل شيء، نراه يأكل على الأرض على خلاف ما هو متعارف من طبائع الملوك وعادات الحكام، ثمّ أشار إلى تواضعه وتذللِهِ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) في مأكله ومجلسه ومركبه وغيرها[1]، (فقوله: ولقد كان (صلىَّ الله عليه وآله وسلَّم) يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد، كما روى عنه (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أنّه قال: إنّما أنا عبد آكل أكل العبيد، وأجلس جلسة العبيد، وغاية ذلك هو التواضع، وكذلك غاية خصف نعله بيده وترقيع ثوبه بيده وركوبه للحمار العاري وارداف خلفه، وأمّا أمره بتغييب التصاوير فمحافظة من حركة الوسواس الخنّاس، وكما أنّ الأنبياء عليهم السّلام كانوا كاسرين للنفس الأمّارة بالسوء وقاهرين لشياطينهم، كانوا أيضا محتاجين إلى مراعاتهم ومراقبتهم وتفقّد أحوال نفوسهم في كلّ لحظة وطرفة فإنّها كاللصوص المخادعين للنفوس

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ٩/ ٣٧٦.

المطمئنّة، مهما تركت وغفل عن قهرها والتحفّظ منها عادت إلى طباعها)[١].

وقد وردت روايات كثيرة في بيان تواضعه (صلى الله عليه وآله) منها ما ذكره الكليني بسنده (عَنِ الْحَسَنِ الصَّيْقَلِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله (عليه السلام) يَقُولُ مَرَّتِ امْرَأَةٌ بَذِيَّةٌ بِرَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) وهُوَ يَأْكُلُ وهُوَ جَالِسٌ عَلَى الْحَضِيضِ فَقَالَتْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ لَتَأْكُلُ أَكْلَ الْعَبْدِ وتَجْلِسُ جُلُوسَه فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) إِنِّي عَبْدٌ وأَيُّ عَبْدٍ أَعْبَدُ مِنِّي قَالَتْ فَنَاوِلْنِي لُقْمَةً مِنْ طَعَامِكَ فَنَاوَلَهَا فَقَالَتْ لَا والله إِلَّا الَّذِي فِي فِيكَ فَأَخْرَجَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) اللُّقْمَةَ مِنْ فِيه فَنَاوَلَهَا فَأَكَلَتْهَا قَالَ أَبُو عَبْدِ الله (عليه السلام) فَمَا أَصَابَهَا بَذَاءٌ حَتَّى فَارَقَتِ الدُّنْيَا)[٢].

ويظهر التّواضع واضحا في الأكل على الأرض، وجلسته التي لفتت انتباه المرأة حتى قالت قولها هذا، وقال ابن ميثم البحراني في شرحه لهذه العبارة (والمراد بأكله أكل العبد إمّا ذلك أعنى الأكل على الأرض، أو الأكل بثلاثة أصابع لا بالإصبعين كما يشعر به ما في الوسائل عن البرقي عن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السّلام أنّه كان يجلس جلسة العبد ويضع يده على الأرض ويأكل بثلاثة أصابع، وقال: إنّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يأكل هكذا ليس كما يفعله الجبّارون يأكل أحدهم بإصبعيه، أو الأكل من غير اتّكاء ويدلّ عليه ما في الوسائل عن الكلينيّ عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: ما أكل رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) متّكئا منذ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٣/ ٢٨٦.
(٢) الكافي، الكليني: ٦/ ٢٧١.

بعثه الله إلى أن قبضه تواضعا لله عزّ وجلّ)[١]، ويشير جلوسه جلسة العبد إلى أنه كان من دون تربّع كما هو جلوس الملوك[٢]، أو الجلوس دون شرفه، فعَنْ (أَبِي عَبْدِ الله (عليه السلام) قَالَ كَانَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا قَعَدَ فِي أَدْنَى الْمَجْلِسِ إِلَيْه حِينَ يَدْخُلُ)[٣].

وقد ذكر الجاحظ تواضع الرسول (صلى الله عليه وآله) إذ يقول: (وكان رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يأكل على الأرض، ويجلس على الأرض ويلبس العباء، ويجالس المساكين، ويمشي في الأسواق، ويتوسد يده، ويقصّ من نفسه، ويلطع أصابعه، ولا يأكل متكئا، ولم ير قط ضاحكا ملء فيه. وكان يقول: «**إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، واشرب كما يشرب العبد، ولو دعيت إلى ذراع لأجبت، ولو أهدي إلي كراع لقبلت**». ولم يأكل قط وحده، ولا ضرب عبده، ولا ضرب أحدا بيده إلا في سبيل ربه. ولو لم يكن من كرم عفوه وثخانة حلمه، إلا ما كان منه يوم فتح مكة، لقد كان ذلك من أكمل الكمال وأوضح البرهان)[٤].

٢ـ خصف النعل وترقيع الثوب:

من أسمى صور التواضع وأكثرها وضوحا في التجلي، هي خدمة الشخص لنفسه وعمل ما يخصه بيده من دون أن يساعده فيها أحد، وخصوصا إذا كان هذا الشخص ذا منزلة رفيعة ومكانة كبيرة، فكيف ذلك

(١) منهاج البراعة في شرج نهج البلاغة، الخوئي: ٩/ ٣٧٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٦٦٢.

(٤) البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ: ٢/ ٢١- ٢٢.

إن كان من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي جمعت بين يديه أقطار الأرض وخزائنها؟ ومع هذا كله كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقوم بالأعمال التي تخصه بيده المباركة ومنها (خصف النعل) وهو عمل يمكن أن يتشرف بعمله أي خادم أو صحابي له، لكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) آثر على نفسه إلا أن يقوم به بنفسه، تهذيبا لها ومجاهدة لشهواتها ورغباتها، وابتعادا عن التسلط والتكبر والخصف في اللغة (الخزف، والخَصَفة: القطعة مما يُخْصَفُ به النعل، والمِخْصَفُ: مثقبه)[١]. و(خصفُ النعل، وهو أن يطبق عليها مثلها)[٢]، و(الخَاءُ وَالصَّادُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَىَ اجْتِمَاعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ. وَهُوَ مُطَّرِدٌ مُسْتَقِيمٌ. فَالْخَصْفُ خَصْفُ النَّعْلِ، وَهُوَ أَنْ يُطَبَّقَ عَلَيْهَا مَثَلُهَا)[٣]. والذي يفهم من المعنى اللغوي أن الخصف هو ترقيع النعل وإضافة شيء له من جنسه، أي إطباق نعل على آخر وخصفه به.

وتضمّن لبس النّعل المخصوفة للتّواضع ظاهر لا سيّما إذا كان لابسها هو الخاصف، وقد تأسّى به (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أميرُ المؤمنين (عليه السّلام) في هذا الوصف مضافا إلى سائر الصّفات، إذ روي عن ابن عبّاس أنّه قال: دخلت على أمير المؤمنين (عليه السّلام) بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي ما قيمة هذه النّعل فقلت: لا قيمة لها، فقال (عليه السّلام): والله لهي أحبّ إليّ من أمرتكم إلَّا أن أقيم حقّا أو أدفع باطلا[٤].

فأمير المؤمنين (عليه السلام) انتهج نهج رسول الله (صلى الله عليه وآله)

(١) العين: ٤/ ١٨٩.

(٢) مجمل اللغة: ٢٩٠.

(٣) مقاييس اللغة: ٢/ ١٨٦.

(٤) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ٩/ ٣٧٨.

في طريقة عيشه وكيف لا وهو نفسه وكلاهما من نور واحد، وقضية خصف النعل فيها دلالة، فالنبي (صلى الله عليه وآله) قد استخلف أمير المؤمنين (عليه السلام) بعده، إذ جاء عن أم سلمة (رضي الله عنها) في مخاطبتها عائشة قولها: (وأنشدك الله يا عائشة أتذكرين مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي قبض فيه، فأتاك أبوك يعوده ومعه عمر، وقد كان علي بن أبي طالب يتعاهد ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله ونعله وخفه، ويصلح ما وَهيَ منها، فدخل قبل ذلك، فأخذ نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وهي حضرمية وهو يخصفها خلف البيت، فاستأذنا عليه فأذن لهما، فقالا: يا رسول الله كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله تعالى. قالا: ما بدّ من الموت؟ قال صلى الله عليه وآله: لا بدّ منه، قالا: يا رسول الله فهل استخلفت أحدا؟ فقال: ما خليفتي (فيكم) إلا خاصف النعل، فخرجا فمرا على علي (عليه السلام) وهو يخصف النعل)[1]، وكذلك يدل ترقيع الثوب على تواضعه (صلى الله عليه وآله)، فقد كان يعطي دروسا في التواضع والزهد في الدنيا وملذاتها وشهواتها، وما فيها من نعيم زائل، فهو القدوة الحسنة التي يقتدى بها وكان أهل البيت (عليهم السلام) خير من اقتدى به وسار على نهجه إذ نرى نهج حياتهم المماثل لما كان عليه (صلى الله عليه وآله).

٣ـ ركوب الحمار العاري

ومن آيات التواضع وترويض النفس التي اتصف بها رسول الله (صلى

(١) رسائل الشريف المرتضى، الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط١، مطبعة الخيام، نشر دار القرآن الكريم، قم المقدسة، ١٤١٠هـ: ٤/ ٦٨، وللاستزادة روي بطرق أخرى في: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مسند ابن أبي شيبة): ٦/ ٣٦٧، ومسند أحمد بن حنبل: ١٧/ ٣٩١.

الله عليه وآله) ركوب الحمار العاري الذي فيه من المشقة والعناء ما يدل على تحمله (صلى الله عليه وآله) وصبره في سبيل إرشاد هذه الأمة إلى جادة الصواب وبناء الإنسان فيها بناءً سليمًا، إذ معروف لدى الناس أن الملوك والأمراء وأصحاب السلطة والنفوذ يتخذون لأنفسهم أفضل المراكب وأحسنها وأكثرها راحة لهم، وكذلك ما فيها من أصناف الزينة والتبرج لما يدلك على أن صاحبها له جاه عظيم ظاهرًا، لكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي بيده سلطان عظيم وملك كبير أبى أن يكون كذلك وعاش حياة الفقر المادي طلبا لما عند الله، لذا كان هذا النمط الخاص لحياته (صلى الله عليه وآله)، (ومعلوم أنّ ركوب الحمار العاري آية التواضع وهضم النفس، وإرداف غيره خلفه آكد في الدّلالة عليه)[1]، ولم يكن هذا من قلة مال أو عجز منه (صلى الله عليه وآله) في الحصول على ما يريد، إذ (كان يركب الحمار العاري ويردف خلفه لا لعجزه عن فرس يركبه وغلام يمشي معه، وكيف وقد توفّى وبيده هذه القطعة العظيمة من المعمورة، بل ذلك وأمثاله ممّا سيحكيه عنه (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) في آخر هذه الخطبة [خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام)] زهادة في الدنيا وإعراض عن متاعها وزينتها لأنّه (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) وجد من الكمالات العقليّة والموعودة ما هو أشرف وأعلى من هذه الكمالات الحسيّة الفانية، واعلم أنّ الوصول إلى تلك الكمالات لا يتمّ ولا يتحقّق إلَّا بالإعراض عن هذه، فرفض به ما هو أخسّ في جنب ما هو أشرف ولذلك قام (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) في العبادة حتّى تورّمت قدماه. فقيل له: يا رسول الله أليس قد بشّرك الله بالجنّة فلم

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ٩/ ٣٧٨.

تفعل ذلك قال: أفلا أكون عبدا شكورا؛ وذلك لعلمه أنّ الاستعداد بالشكر يفيد كمالا أعلى وأزيد ممّا أوتى)[١].

وروي عن الإمام الرّضا (عليه السّلام) عن آبائه عن النّبيّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) قال: (خمس لا أدعهنّ حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبد، وركوبي الحمار موكفا وحلب العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي)[٢].

٤ـ ابعاد التصاوير والزخارف:

تتوالى شواهد الزهد في الدنيا والتواضع في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي نقلها لنا أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته هذه، إذ يضاف إلى ما مرَّ ذكره من شواهد عن تواضعه (صلى الله عليه وآله) قضية ابتعاده (صلى الله عليه وآله) عن التصاوير والزخارف في ملبسه أو في مسكنه، وهذا خلاف ما هو معروف عن الملوك والأمراء الذين يتخذون الزينة في ملبسهم وقصورهم التي تملؤها التصاوير والزخارف والنقوش، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) كان ينظر إلى هذه الأمور على أنها أمور دنيوية لا قيمة لها، بل أنها تؤدي إلى التمسك بحب الدنيا الزائلة، وقد أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مبغوضيّة الدّنيا وقيناتها عند رسول الله (صلى الله عليه وآله): بقوله: «**ويكون الستر على باب بيته ويكون فيه التصاوير**» الظاهر أنّ المراد به

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٢٧٤- ٢٧٥.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٣٠، وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ)، ط٢، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، مطبعة المهر، قم المقدسة، ١٤١٤هـ: ١٢/ ٦٢، جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي (ت: ١٣٨٣هـ)، مطبعة المهر – قم المقدسة، ١٤٠٩هـ: ١٥/ ٦٠١.

تصاوير الشجر والنبات ونحوها لا تصاوير الحيوان وغيره من ذوى الأرواح، إذ بيته (صلَّى الله عليه وآله) كان مهبط الوحي ومختلف الملائكة ولا يدخل الملك بيتا فيه صورة مجسّمة كما ورد في الأخبار، فيقول (صلَّى الله عليه وآله) «**يا فلانة لإحدى أزواجه غيّبيه عنّي**» الظَّاهر أنه أراد بها عائشة كما يومئ إليه في باب الزّهد من احياء العلوم قال: ورأى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على باب عائشة سترا فهتكه وقال: كلَّما رأيته ذكرت الدّنيا أرسلي به إلى آل فلان ... أمرُه (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) بتغييبها إنما هو لأجل أنّ الدّنيا وزخارفها كانت مبغوضة عنده بالذات ومكروهة لديه بالطبع، فأمر بتغييبها لكونها موجبة لذكر ما يبغضه ويتنفّر عنه ويعاديه)[1].

ويشير قوله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم): (فإنّي إذا نظرت إليه ذكرت الدّنيا وزخارفها) إلى ذلك، ويدلّ عليه صريحا قول أمير المؤمنين (عليه السلام) (فأعرض (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها عن نفسه)، فهذا هو الزهد الحقيقي في الدنيا وملذاتها ابتغاء مرضاة الله، وتطويعا لنفسه (صلى الله عليه وآله) وكسرا لرغباتها وجمحا لشهواتها، وقوله (عليه السلام) (وأحب أن تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتّخذ منها رياشا) فلا يأخذ منها لباسا فاخرا، مثلما يفعل الملوك والأمراء والحكام من اتخاذ كل وسائل الرفاهية والعيش الرغيد في الدنيا، لا لشيء إلا لأنهم تولوا على الناس[2].

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ٩/ ٣٧٨- ٣٧٩.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٩/ ٣٧٩.

ثانيًا: جشوبة العيش:

وصف لنا أمير المؤمنين (عليه السلام) حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بكل تفاصيلها، إذ هو رفيقه وربيبه الذي عاش معه حتى قبض (صلى الله عليه وآله)، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يعرف عنه كل صغيرة وكبيرة، فهو خزينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأخوه ونفسه، ومن هنا ذكر لنا أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الخطبة جوع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في موضعين؛ الأول: في حياته وما مَرَّ به من جوع بقوله: «**وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا: إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ**»، إذ يذكر الإمام (عليه السلام) أن هيأته (صلى الله عليه وآله) توضح لك مساوئ الدنيا وعيوبها، فقد كان يظهر عليه زهده بها من جوع وملبس وتواضع وغيرها، والآخر عندما قبض (صلى الله عليه وآله) إذ يقول الإمام: (خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصًا، وَوَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيمًا)، أي خرج منها ضعيف الجسد لأن الخميص من الخمص، و(الخَمُص: خَماصَةُ البطن، وهو دقة خلقته. والخَمْصُ: الخَمَصُ والمَخْمَصَةُ. أيضا: خلاء البطن من الطعام)[1]، وذكر ابن دريد (والخمص: الجوع. ومثل من أمثالهم: لا بد للبطنة من خمصة تتبعها)[2].

ويظهر أن الخميص هو من لا بطن لديه من الجوع الذي مرّ به، وهكذا كان حال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا لنقص في طعام أو قلة مال، بل

---

(١) العين: ٤/ ١٩١.

(٢) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م: ١/ ٦٠٥.

زهدا في الدنيا وملذاتها، وجاء في الأثر في صفه (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) قولهم: (مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ يَوْمَيْنِ حَتَّى قُبِضَ)[١]، (وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يجوع من غير عوز أي مختارًا لذلك، وَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم إِنَّ الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجات فِي الْجَنَّةِ، وَقَالَ صلى الله عليه وآله لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء، وقال صلى الله عليه وآله ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإن كان لا بد فاعلًا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)[٢].

فكلامه (صلى الله عليه وآله) يبين لنا نظرته للدنيا وما فيها، فالطعام عنده هو بقدر الحاجة التي تعينه على القيام بأعماله، ويدل على ذلك قول الإمام (عليه السلام): «**قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفًا، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا**» وهي كناية عن تركه الدنيا والاقتصار منها على قدر الضرورة، وروي قصم الدنيا، أي كسرها وكسر شهواتها[٣]، وفيه وصف دقيق لحال رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع الدنيا وما فيها،

(١) مسند إسحاق بن راهويه: ٣/ ٨٨١.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت: ٣/ ٨١.

(٣) نزهة النظر في غريب النهج والأثر، عادل عبد الرحمن البدري، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم - إيران، ١٤٢١ه: ٦٩٥، وينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢/ ٤٣٧.

فقوله: (قضم الدنيا...وهو أكل الشيء اليابس بأطراف الأسنان، أي تناول منها قدر الكفاف وما تدعو إليه الضرورة، والتنوين في قضما للتقليل... وقوله عليه السلام: ولم يعرها طرفا، من الإعارة، أي لم يلتفت إليها نظر إعارة، فكيف بأن يجعلها مطمح نظره؟ ويقال: رجل أهضم: إذا كان خميصا لقلة الأكل، والكشح: الخاصرة...والرياش إما جمع الريش، أو مرادفه، وهو اللباس الفاخر، ويطلق على المال والخصب والمعاش، قوله عليه السلام: خميصا، أي جائعا)[1].

وقد روي (عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله، رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) خَمَصًا شَدِيدًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ (صلى الله عليه وآله) خَمَصًا شَدِيدًا...)[2].

لقد دعا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى التحلي بمكارم الأخلاق كالتواضع والجود والأمانة والحياء والوفاء وما إلى ذلك، كما نهى عن مساوئ الأخلاق كالبخل والحرص والغدر والخيانة والغرور والكذب والحسد والغيبة، وهكذا جهد لتقويم كل خلق شائن، والشواهد كثيرة، فقد كان يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف نعله بيده ويرقع ثوبه وهو (صلى الله عليه وآله) الرمز الأكبر للعقيدة الإسلامية، يحرص أشد الحرص

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي (ت: ١١١١هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ١٦/ ٢٨٦.

(٢) صحيح البخاري: ٥/ ١٠٨، صحيح مسلم: ٣/ ١٦١٠، المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١ه - ١٩٩٠م: ٣/ ٣٢.

على هداية الناس إلى سواء السبيل، لأن عملية البناء الحضاري للإنسان تصبح عبثا لا طائل تحته من دون عملية التوجيه والهداية. وأهل البيت (عليهم السلام) هم نجوم الهداية الأبدية لهذه الأمة، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «..**ألا إن مثل آل محمد (صلى الله عليه وآله) كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم..**». والهداية - بلا شك ولا شبهة تستلزم النجاة - هي الغاية المنشودة للإنسان المسلم، ومن هنا يكمن المعنى العميق، والتشبيه البليغ، في حديث الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): «**إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له**». وصفوة القول، إن لأهل البيت (عليهم السلام) دورا كبيرا في بناء الإنسان المسلم، وإنقاذه من شتى أنواع الانحدار والضلال وليصل به إلى شاطئ النجاة. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «**انظروا أهل بيت نبيكم، فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى..**»، وقال (عليه السلام) أيضا: «**نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي وإليها يرجع الغالي**». ولقد سار الأئمة الأطهار (عليهم السلام) على نهج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسنته، فقاموا بدور حضاري مشهود في إشاعة الأخلاق الفاضلة وترسيخها، والردع عن الأخلاق الذميمة، وكانوا يركزون على الجوهر بدلا من المظهر، ويعدون تحلية الجوانح بالأخلاق الفاضلة أفضل وأولى من تحلية الجوارح بالملابس الفاخرة، فأصبح سلوكهم لنا أسوة ومواقفهم قدوة[1].

(١) ينظر: دور العقيدة في بناء الإنسان، مركز الرسالة، ط١، مطبعة ستارة، مركز الرسالة، قم المقدسة - إيران، ١٤١٨هـ: ٩٠- ٩١.

وفي هذا إكرام لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في ابعاد الدنيا عنه وتزيينها لغيره، إذ يقدم لنا أمير المؤمنين (عليه السلام) صورة واضحة عن هذه الدنيا التي في بسطها إهانة لمن بُسطت له، وبذلك أكرم الله سبحانه رسوله (صلى الله عليه وآله) بأن زوى عنه الدنيا وملذاتها، وأعد له الآخرة وما فيها من نعيم، وفي هذا يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «**فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ: أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّدًا (عليه السلام) بِذلِكَ أَمْ أَهَانَهُ! فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ وَاللهِ الْعَظِيمِ وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ**».

يظهر مما سبق كيف عاش رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه الدنيا، فقد جاهد نفسه حق جهادها، وروضها في طاعة الله ورضوانه، فابتعد عن مغرياتها وملذاتها وما فيها من نعيم زائل، فجاهد الجهاد الأكبر الذي كان يوصي به أهل بيته وأصحابه، وهو مجاهدة النفس، لأن النفس أوْلى بأن تُجاهد لأنها الأمارة بالسوء قال تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1].

(١) سورة يوسف: ٥٣.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

جاءت هذه الدراسة لتبين لنا مراحل جهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذلك بتتبع ما ورد في نهج البلاغة في هذا الموضوع، وما ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) عنه، وقد اتضح من خلال البحث جوانب عدة منها: أن جهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) تمثل في بادئ الأمر في دعوته (صلى الله عليه وآله) إلى الرسالة، إذ بدأت معها الأمور تشتد عليه وعلى أتباعه، فكان صبره كبيرا (صلى الله عليه وآله) في مقارعة أهل الظلم والشرك، وهذا من أعظم الجهاد، وهو جهاد الكلمة وذلك بقول الحق عند سلطان جائر، وما أجور زعماء قريش آنذاك، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) كلمته الحق في حضرتهم، لا يخاف في الله لومة لائم، ولم يسلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أذى هؤلاء المشركين إذ صبوا جام حقدهم وظلمهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى فعلوا ما فعلوا من قتل وتشريد وحصار في الشِّعب وتجويع لرسول الله (صلى الله عليه وآله) واتباعه، كل هذا بقي رسول الله (صلى الله عليه وآله) واتباعه صابرين في سبيل الله

محتسبين أمرهم عنده، وكان (صلى الله عليه وآله) المدافع عن الضعفاء في وجه الظالمين، وقد سانده في هذا عمه أبو طالب (رضوان الله عليه) إذ كان سدًّا منيعًا له في مواجهة زعامات قريش، ومن مراحل جهاده (صلى الله عليه وآله) ترك الديار والهجرة بالرسالة في أرض الله الواسعة، والبدء ببناء الأسس القوية للدولة الإسلامية المحمدية العادلة، وتمثل ذلك في المدينة المنورة ببناء المسجد، ثم العمل بنظام المؤاخاة الذي تفرد به (صلى الله عليه وآله) على مرِّ التاريخ، وهكذا عمل عظيم لا يمكن لأحد القيام به إلا هو (صلى الله عليه وآله)، ومن ثم بعد توحد الصفوف وتراصفها، ازدادت قوة هذه الدولة الفتية في عمرها القوية في بنائها ونظامها، بدأت مرحلة أخرى من الجهاد ألا وهو القتال في سبيل الله وبذل النفس والمال في سبيل إعلاء كلمة الحق ودعوة الناس إلى الرسالة المحمدية، وحدثت في هذه المرحلة معارك عظيمة شارك فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) مقاتلا ومدافعا عن الإسلام بكل ما أوتي من قوة، فكان شديد البأس عظيم الشجاعة، لا يقارن به أحد، فهو أشجع الخلق، وهكذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في معاركه يتقدم الجيش ويواجه الأعداد بنفسه حتى يكون أقرب المقاتلين للعدو في القتال، وليس مثلما نُقل أنه كان يقاتل بالدعاء، بل كان يقاتل بالسيف متقدما على جيشه، حتى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو أشجع الناس بعد النبي (صلى الله عليه وآله) قال (كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم يكن منا أقرب إلى العدو منه).

أما المرحلة الأخيرة من مراحل جهاده (صلى الله عليه وآله) التي تضمنها هذا البحث هو الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس الذي أوصى به رسول الله

(صلى الله عليه وآله)، وطبقه على نفسه، إذ كان (صلى الله عليه وآله) مثالا للخلق الرفيع والقدوة الحسنة في أقواله وأعماله، فقد زهد بالدنيا وما فيها فعاش عيشة الفقراء مع ما كان عنده من خزائن الدنيا، فلبس الثوب المرقع وخصف نعله بيده وجلس جلسة العبد ويأكل على الحضيض تواضعا لله وتذللا له، وهي دروس في الأخلاق والتربية قدمها لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) لبناء الإنسان المسلم البناء الصحيح والقويم، ليكون إنسانا صالحا ينتفع منه المجتمع، فإذا ما بُنيَ الإنسان البناء السليم كان المجتمع سليما لأن بناء الإنسان يعني بناء المجتمع كله.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبو طالب حامي الرسول (صلى الله عليه وآله) وناصره، نجم الدين العسكري (ت: ١٣٩٠هـ)، مطبعة الآداب - النجف الأشرف، ١٣٨٠ه.

١. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض-عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ.

٤. الأمالي، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مؤسسة البعثة - قم، ١٤١٧هـ.

٥. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦. الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، محمد الغروي، ط٣، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٥هـ.

٧. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مطبعة سليمان زادة، نشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم المقدسة- إيران، ١٤٢٦هـ.

٨. بحار الأنوار، العلامة المجلسي (ت: ١١١١هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٩. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني (ت: ١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية،

مؤسسة البعثة – قم.

١٠. البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

١١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٢. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت: ٩٦٦هـ)، دار صادر– بيروت.

١٣. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

١٤. التحفة السنية في شرح نخبة المحسنية، السيد عبد الله الجزائري (ت: ١١٧٣هـ)، تحقيق: شرح الجزائري، نسخة مخطوطة.

١٥. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي و الدكتور عبد السند حسن يمامة، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٦. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٧. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، ط٣، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم – ايران، ١٤٠٤هـ.

١٨. التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، ط٢، دار العلم للملايين - بيروت – لبنان، ١٩٨٧م.

١٩. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م- ١٩٩٨م.

٢٠. تهذيب الأحكام، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، ضبط وتصحيح وتعليق: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت–لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٢. جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي (ت: ١٣٨٣هـ)، مطبعة المهر – قم المقدسة، ١٤٠٩هـ.

٢٢. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفي، ط٢، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٣. جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، دار الفكر- بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٤. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٥. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ محمد حسن النجفي (ت: ١٢٦٦ه)، تحقيق وتعليق: الشيخ حيدر الدباغ، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة- إيران، ١٤٣٣ه.

٢٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، دار السعادة - مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢٧. دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٨. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٩. دور العقيدة في بناء الإنسان، مركز الرسالة، ط١، مطبعة ستارة، مركز الرسالة، قم المقدسة – إيران، ١٤١٨هـ.

٣٠. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ت: ١٤٢٧هـ)، ط١، دار الهلال - بيروت.

٣١. رسائل الشريف المرتضى، الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط١، مطبعة الخيام، نشر دار القرآن الكريم، قم المقدسة، ١٤١٠هـ.

٣٢. الرسائل العشر، الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة- إيران.

٣٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ.

٣٤. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.

٣٥. روضة الواعظين، الفتال النيسابوري (ت: ٥٠٨هـ)، تحقيق وتقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة- إيران.

٣٦. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣٧. الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه: مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ)، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المَرْوزي (ت: ١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٨. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٩. السياسة الشرعية المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، (ماجستير) جامعة المدينة العالمية، ٢٠٠٩م.

٤٠. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.

٤١. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.

٤٢. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: ١٤٠٣هـ)، ط٨، دار القلم – دمشق، ١٤٢٧هـ.

٤٣. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

٤٤. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، ط٣، الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٧هـ.

٤٥. السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، عبد الشافي محمد عبد اللطيف، ط١، دار السلام – القاهرة، ١٤٢٨هـ.

٤٦. السيرة النبوية، راغب الحنفي راغب السرجاني، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http: //www.islamweb.net (سلسة محاضرات صوتية ومكتوبة).

٤٧. شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني (ت: ١٠٨١هـ)، تحقيق وتعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح : السيد علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٨. الشرح الكبير، عبد الرحمن بن قدامة (ت: ٦٨٢هـ)، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.

٤٩. شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط٢، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٥٠. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع.

٥١. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (ت: ٦٧٩هـ)، تحقيق وتصحيح عدة من الأفاضل وقوبل بعدة نسخ موثوق بها، ط١، مركز النشر مكتب الاعلام الإسلامي - الحوزة العلمية - قم – ايران.

٥٢. الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، ط٤، دار التعارف للمطبوعات -بيروت- لبنان، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٥٣. الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، السيد جعفر مرتضى العاملي، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر- قم - ايران، ١٤٢٦هـ.

٥٤. طبقات ابن سعد (الجزء المتمم) تحقيق: د. عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق - الطائف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.

٥٥. العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٥٦. عوالي اللئآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي (ت: ٨٨٠هـ)، تحقيق وتقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي والحاج آقا مجتبى العراقي، ط١، مطبعة سيد الشهداء، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٥٧. عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٥٨. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (ت: ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، ط١، دار القلم - بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٥٩. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي (ت: ق٦)، تحقيق : الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر.

٦٠. غرر الحكم ودرر الكلم، القاضي ناصع الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي (ت: ٥٥٠هـ)، ترتيب وتدقيق: عبد الحسين دهيني، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

٦١. غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد المعيد خان، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٦٢. غريب الحديث، ابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني- بغداد، ١٣٩٧هـ.

٦٣. فتح الباري، ابن حجر(ت: ٨٥٢هـ) ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان.

٦٤. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، ط١، انتشارات كلمة الحق، ١٤٢٧هـ.

٦٥. الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت:٣٢٩هـ)، ضبط وتصحيح وتعليق: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٦٦. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

٦٧. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٦٨. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مسند ابن أبي شيبة)، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد–الرياض، ١٤٠٩هـ.

٦٩. كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت: ١٢٢٨هـ)، تحقيق: عباس التبريزيان، محمد رضا الذاكري، عبد الحليم الحلي، ط١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٢هـ.

٧٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٧١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور(ت: ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت،١٤١٤هـ.

٧٢. اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (دراسة محققة للسيرة النبوية)، موسى بن راشد العازمي، ط١، المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٧٣. ما وراء الفقه، السيد محمد الصدر (ت:١٤٢١هـ)، ط٣، مطبعة قلم، الناشر: دار المحبين للطباعة والنشر، إيران- قم، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

٧٤. المبسوط في فقه الإمامية، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق: السيد محمد تقي الكشفي، مؤسسة الغري للمطبوعات، دار الكتاب الإسلامي، بيروت- لبنان.

٧٥. المجموع، النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٦. محاسبة النفس، الشيخ إبراهيم الكفعمي، (ت: ٩٠٥هـ)، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، ط١، المطبعة نمونه – قم، ١٤١٣هـ.

٧٧. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ.

٧٨. مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي(ت: ١٣٢٠هـ)، تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط٢، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧٩. مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر– مصر، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٨٠. مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٨١. مسند إسحاق بن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه (ت: ٢٣٨هـ)، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، ط١، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٨٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٨٣. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، ط١، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، (بدأت ١٩٨٨م،

وانتهت ٢٠٠٩م).

٨٤. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨٥. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المجلس العلمي- الهند، المكتب الإسلامي، بيروت.

٨٦. المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت: ٧٠٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، ط١، مكتبة السوادي للتوزيع، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٨٧. المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩ه-١٩٨٩م.

٨٨. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ.

٨٩. مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، ط٦، منشورات الشريف الرضي، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٩٠. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (صلى الله عليه وآله) أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي.

١٩. ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، العلامة المجلسي (ت: ١١١١هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مطبعة الخيام – قم، ١٤٠٦هـ.

٩٢. مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب (ت: ٥٨٨هـ)، تحقيق وتصحيح وشرح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٦م.

٩٣. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٩٤. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت: ١٣٢٤هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم الميانجي، ط٤، المطبعة الإسلامية، طهران.

٩٥. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ.

٩٦. نزهة النظر في غريب النهج والأثر، عادل عبد الرحمن البدري، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم - ايران، ١٤٢١هـ.

٩٧. نهج البلاغة، تحقيق وضبط النص: الشيخ قيس بهجت العطار، ط١، مؤسسة الرافد للمطبوعات، قم المقدسة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٩٨. الهداية، الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي (عليه السلام)، ط١، مطبعة اعتماد، نشر مؤسسة الإمام الهادي (عليه السلام)، قم- إيران، ١٤١٨هـ.

٩٩. وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ)، ط٢، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، مطبعة المهر، قم المقدسة، ١٤١٤هـ.

١٠٠. وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (صلى الله عليه وآله)، يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهَاني (ت: ١٣٥٠هـ)، ط٢، دار المنهاج، جدة، ١٤٢٥هـ.

١٠١. الوسيلة، ابن حمزة الطوسي (ت: ٥٦٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، إشراف: السيد محمود المرعشي، ط١، مطبعة الخيام، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المشرفة - إيران، ١٤٠٨هـ.

المحتويات

مقدمة المؤسسة ٩
مقدمة..... ١١
التمهيد..... ١٥
مفهوم الجهاد..... ١٥
الجهاد لغة: ١٥
فضل الجهاد: ١٧
أقسام الجهاد: ١٨
الجهاد بحسب مكانته: ١٨
الجهاد بحسب موارده: ١٩
الجهاد بحسب أحكامه: ٢٠
الجهاد بحسب التكليف: ٢١

الفصل الأول

جهاد النبي (صلى الله عليه وآله) في تبليغ الدعوة

توطئة: ٢٥
المبحث الأول: جهاده (صلى الله عليه وآله) في مكة ٢٧
جهاده (صلى الله عليه وآله) في التبليغ في الطائف: ٣٤
المبحث الثاني: جهاده (صلى الله عليه وآله) في الهجرة..... ٤١
هجرة المسلمين إلى الحبشة:..... ٤١
الهجرة إلى المدينة (الهجرة الكبرى): ٤٥

الفصل الثاني:

جهاده (صلى الله عليه وآله) بعد الهجرة

توطئة: ٦٣
المبحث الأول: جهاده في بناء المجتمع الإسلامي..... ٦٥
أولًا: بناء المسجد: ٦٥
ثانيًا: المؤاخاة: ٦٧

ثالثًا: استراتيجية النبي (صلى الله عليه وآله) في القتال: ٧٠
تقديمه أهل بيته في المعارك..... ٧٠
عدم المُثلة: ٧٣
المساواة: ٧٣
المبحث الثاني: جهاده (صلى الله عليه وآله) في المعارك ٧٥
معركة بدر الكبرى (٢هـ)..... ٧٦
معركة أحد (٣ هـ):..... ٨١
معركة الخندق (٥هـ): ٨٧
معركة حنين: (٨ هـ)..... ٩١

الفصل الثالث

جهاد النفس

توطئة: ١٠١
المبحث الأول: الجهاد الأكبر والقدوة الحسنة ١٠٣
أهمية الجهاد الأكبر:..... ١٠٣
القدوة الحسنة: ١٠٦
أولا: الأسوة والتّأسي: ١٠٧
ثانيًا: الدنيا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله): ١١٠
المبحث الثاني: مظاهر جهاد النفس في حياته (صلى الله عليه آله) ١١٥
أولا: زهده وتواضعه (صلى الله عليه وآله): ١١٦
١- الأكل على الأرض: ١١٧
٢- خصف النعل وترقيع الثوب: ١١٩
٣- ركوب الحمار العاري..... ١٢١
٤- ابعاد التصاوير والزخارف: ١٢٣
ثانيًا: جشوبة العيش: ١٢٥
الخاتمة:..... ١٣٠
المصادر والمراجع: ١٣٣